أحمد الدوسري
شاعر المنافي
والمساءات الباردة

- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الأراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس : 3448368 (00202)

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

أحمد الدوسري
شاعر المنافي
والمساءات الباردة

إعداد وتقديم
أشرف العوضي

مركز الحضارة العربية

الكتـــاب : أحـمـد الدوسـري
شاعر المنافي
والمساءات الباردة

الكاتب : أشرف العوضي

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠٤

رقـم الإيـداع : ٢٠٠٣/١٧٥٥٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N.977-291-508-1

الغـلاف
تصميم وجرافيك : ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيـــذ : سـيـد حـرزاوى
تصحيـــح : زكـريا منتـصر
إينـاس ديـــاب

الطباعة: دار الفنون للطباعة
ت: ٣٢٩٨٢٤٣

إهداء

إلى كل الذين جرفهم بحر الغربة المائج يومًا ما.

وإلى من يقدرون معاناة الآخرين؛ نضيء لهم تجربة هذا الشاعر المتفرد.

أشرف

الغربة ليست محطة.. إنها قاطرة تركبها حتى الوصول الأخير، قصاص الغربة يكمن في كونها تنقص منك ما جئت تأخذ منها، بلد كلما احتضنتك، ازداد الصقيع في داخلك؛ لأنها في كل ما تعطيك تعيدك إلى حرمانك الأول ؛ ولذا تذهب نحو الغربة لتكتشف شيئاً.. فتنكشف باغترابك.

أحلام مستغانمي

ضوء عميق في عتمة سحيقة

(1)

قد يبدو اسم أحمد الدوسري غريبًا على القارئ العربي وخصوصًا في السنوات العشر الأخيرة ؛ وذلك لأسباب سنأتي على ذكرها لاحقًا، ولكنه بكل تأكيد اسم جدير بالوقوف عنده كثيرًا لما تتميز به تجربته من خصوصية شديدة أفرزت إبداعًا متفردًا على صعيد الشكل والمضمون، كما أنه كان قد فرض حضورًا فاعلاً في الأوساط الشعرية، والأدبية حتى العام 1990 بالكويت مسقط رأسه كذلك فى المنطقة الخليجية التي شهدت الكثير من ندواته الشعرية، وأمسياته الأدبية قبل أن تبتلعه دوامة المنافي القاسية حتى اليوم.

وكما كان حضوره فاعلاً ومؤثرًا في حقبة الثمانينيات في العالم العربي صار حضوره أكثر تألقًا في أوربا عندما رسا به المطاف في مدينة جنيف السويسرية بما يملكه من مواهب متعددة حتى يكاد المرء أن يعجز في تصنيفه فهو شاعر وروائي وكاتب للأغنية وقاص من الطراز الأول بالإضافة إلى أنه مترجم قدير، اشتغل لسنوات طويلة على تعريف العالم العربي بالشعر السويسري على وجه التحديد، كذلك هو إعلامي مميز له بصمته الخاصة في برامجه التليفزيونية الراقية.

ولكن من أحمد الدوسري؟

وما حكايته؟

وما الأسباب التي دفعتني إلى إعداد هذا الكتاب الذي ظننته سهلاً ولكنني سرعان ما اكتشفت أنني أغوص به ومعه، وسط رمال متحركة؟ فتقصى سيرة حياة هذا الشاعر هو أمر بالغة الصعوبة ولا سيما أنه تنقل في السنوات الثلاث عشرة الماضية بين عدة عواصم آسيوية وأوربية وأمريكية وله في كل عاصمة بصمة وفى كل مطبوعة أثر مهم بل وله في كل القلوب التي تعرفه محبة وقدر.

وقبل أن أجيب لابد أن أذكر أمرًا يبدو لي مهمًا له أكثر من دلالة عندي الآن وأعنى به تلك اللحظة التي تعرفت فيها على أحمد الدوسري الإنسان قبل أن أتعرف عليه كاتبًا مختلفاً.

كان ذلك في صيف حار منذ عدة أعوام حين دعيت مع عدد من الصحفيين والكُتّاب لمتابعة ندوة تطبيقية خاصة بأحد الأعمال المسرحية القطرية التي أقيمت بمسرح قطر الوطني في مدينة الدوحة، يومها رأيت شابًا يقترب من الأربعين يعتلى المنصة ويتحدث بصوت خفيض محللاً العرض المسرحي بسلاسة وبأسلوب علمي محكم دون استعراض فج أو ثرثرة زائدة مما جعل كل مَنْ في القاعة ينصت إليه باهتمام بالغ وذلك لا يحدث كثيرًا في مثل هذه الندوات التي تكون الأحاديث الجانبية فيها أمرًا طبيعيًا، وبعد الندوة تعرفت إليه أنا وزملائي الذين لم يكن يعنى لهم منه سوى تغطية جيدة لندوة مميزة في صحف الغد، ولكنني شعرت أن ثمة ارتياحًا ما تجاه هذه الرجل الذي أراه للمرة الأولى وأن ثمة حزنًا دفينًا يتخلل ضحكته الشاحبة شحوب صوته وأن وراء هذا الوجه البشوش دائمًا وأبدًا ثمة حكاية كبيرة ومثيرة يجب عليّ أن أعرفها. وأتساءل الآن: هل كان اهتمامي به فضولاً صحفيًا؟

لا أدرى فكل ما أتذكره الآن أنني صرت وهذا الرجل أصدقاء بعد

جلسة واحدة وصرنا لزماء لا نفترق بعد أن قرأت عدة كتب له أهداني إياها وكان قد أصدرها قبل عام 1990، منها: كتاب مهم عن سيرة حياة الشاعر العربي الكبير أمل دنقل بعنوان: "أمل دنقل شاعر على خطوط النار" وروايته الخاصة جدًا "الظلام من الشمال" وتلك الرواية كانت المفتاح الذي أدرته في باب طلسمي فكشفت لي قدرًا كبيرًا من حياة هذا المثقف العربي الكبير الذي لم ينل حظه من الشهرة، التي لم يسع إليها يومًا والتي لا تتناسب أبدًا مع قدر إنتاجه ومعاناته وإخلاصه للأدب والذي تحمل من أجله الكثير.

وإذا كنت لم أفارق الدوسري منذ قرأته وعرفته، فإنني مدين له بالكثير من المعارف التي أضافها إلى تجربتي الإنسانية المحدودة مقارنة بتجربته الطويلة، ليس على مستوى الأيام والسنين ولكن على مستوى الألم والمعاناة ومستوى والصبر، ليس على الجوع والعطش فقط، أو على الشتات في بلاد الله لخلق الله، أو على الخوف من الغد غير المعلوم إن كان سيأتي بطعام للصغار أم لا، فهناك ما هو أقسى من ذلك، ألا وهو نكران الجميل الذي تعرض له شاعرنا بل ولازمه ملازمة الظل لصاحبه لسنوات طويلة بعد ذلك، لذا أرى أن نروي الحكاية من البداية.

(2)

ولد أحمد حسين الدوسري في بلدة الفحيحيل في جنوب مدينة الكويت العاصمة في السادس عشر من شهر يونية لعام ألف وتسعمائة وثلاثة وستين، من أب يعمل في التجارة وينحدر من قبيلة الدواسر العريقة التي تعود أصولها إلى وادي الدواسر بالمملكة العربية السعودية الآن، وتتفرع بين عدة دول خليجية.

كان ترتيبه الثاني بين إخوانه الثمانية، فبرزت مواهبه اللغوية وذكاؤه

الفطري في المرحلة الابتدائية، وكان التفوق صديقًا له منذ نعومة أظافره، حيث حصل عام 1985 على ليسانس اللغة العربية من جامعة الكويت بتقدير جيد جدًا، وفى عام 1989 نال الماجستير من جامعة بغداد عن رسالته حياة وشعر أمل دنقل بتقدير امتياز، وفى عام 1999 حاز الدكتوراه من جامعة جنيف في الفلسفة واللغة والأدب والحضارة العربية، وهذه المرة كانت بالامتياز أيضًا، لكن مع مرتبة الشرف الأولى.

يذكر الدوسري في حوار أجريته معه ونشر بجريدة الشرق الأوسط اللندنية أنه فاجأ الرجال في مجلس والده، حين ألقى عليهم قصيدة من الشعر النبطي الذي يحتاج إلى دراية ومعرفة بأصول اللغة العامية الخليجية ومفرداتها المعقدة، وهذه لا تتوافر لطفل لم يكمل العاشرة بالتأكيد.

قد تكون تلك اللحظة الفارقة في عمره، هي الدافع لأن يكون ذلك الفتى النحيل الخجول هو نفسه شاعرنا بما يملك من حساسية مرهفة وقدرة على تطويع مفردات اللغة لما يريده، وفى الوقت الذي نجد فيه من يحترفون الأدب وتسرى في عروقهم نيرانه، ينحازون له ويرفضون أن يشركوا في محبته شيئًا آخر، نجد أننا أمام حالة غريبة في كون شاعرنا الصغير بدأ فنانًا تشكيليًا وكان واعدًا، ثم لاعبًا ماهرًا لكرة القدم حتى وصل إلى درجة متقدمة، أهلّته للعب الاحترافي.

لماذا كان الدوسري يتحدى نفسه؟ وما الدافع الحقيقي الذي يجعله ماهرًا في كل شيء تقريبًا؟ هل هي الظروف الاقتصادية التي تعرضت لها أسرته؟ وهل هي الطبقية الشديدة التي ولدت إبان ثورة النفط في بداية السبعينيات لتقلب الهرم الاجتماعي للأسرة الكويتية؟ ومن ثم يرتفع من كان دنيًا ويتوارى من كان سيدًا؟ وهذه الحال حدثت في معظم مجتمعاتنا العربية، مع سريان حالة التغير والتبدل الاجتماعي نتيجة لكثير من التطورات العربية، مع سريان حالة التغير والتبدل الاجتماعي

نتيجة لكثير من التطورات العصرية والتحولات داخل المجتمعات الخارجة للتو من استقلالها عن الاستعمارات الغربية إلى مجتمعات حالمة بأشكال عديدة من النهضة والتطور واللحاق بركب الحضارة الحديثة.

وهل كان إحساسه بأنه لابد أن يكون مؤثرًا ومهمًا ومحبوبًا ومرغوبًا، تعويضًا عن ذلك الحرمان المادي النسبي؟ وهنا علينا أن ننظر إلى أن من نعتبره فقيرًا في الكويت ربما يكون ثريًا في بقاع كثيرة في العالم.

إن الدوسري كما عرفته لا يرضى بأنصاف الحلول، ولديه طاقة جبارة في العمل ودأب شديد، خاصة في الكتابة، فقد يعيد كتابة قصيدة أكثر من ثلاثين مرة دون أن يكل أو يضجر. وربما ظلت قضية التفوق تلك تسيطر على حواسه وتدفعه دفعًا لأن يكون متقدمًا دائمًا.

وأرى الآن بعد قراءة متعمقة لتجربته، وبعد معرفة لصيقة بشخصه، أن الخصوصية الشديدة عنده، والتي تحدثت عنها أكثر من مرة، تكمن في تجربته المريرة في أثناء الأسر لدى العراقيين في حكم صدام حسين، والتي اجتاحت قواته دولة الكويت في الثاني من أغسطس عام 1990. يومها كان الدوسري يدافع عن الوطن الذي شرب من مائه وتظلل بسمائه، ذلك الوطن الذي لا يمحى من الذاكرة حتى لو مزقت أوراق هويتك، أو حتى لو لفظك ناسه، فالوطن كامن قابع في مكان سحيق من نفسك، ولأن الدوسري يؤمن بأن وطنه هو الإنسان العربي في أي بقعة على أرضنا العربية، فإن صدمته كانت كبيرة، إنها صدمة مثقف آمن بالعروبة وبالحلم الذي تبدد، وبأن ما حدث ليس سوى نقطة سوداء ستمحى من سجلنا العربي الواحد.

ولم يكن يخطر بباله أو ببال أخويه محمد وعبدالعزيز بأن مصيرهم سيكون الأسر وأن مأواهم سيكون قبو سجن بارد مظلم في جوف مدينة البصرة ولم يكن يخطر ببالهم بأن السجّان ليس سوى أخ الأمس وشقيق الغد.

هذه المحنة التي تبدو في ظاهرها، مشغولة بحالة طبيعية يمكن حدوثها في أي مكان من عالمنا، ويمكن استقاؤها فنيًا من الأساطير الإغريقية مثلاً، أو من الحكايات الشعبية والقصصية، لا يمكنها أن تحمل بعيدًا عن قدر الألم الذي تسببه لمن عاشوها؛ لأنها تحوّلهم إلى مسارات أخرى، تبدل كيانهم النفساني والثقافي والاجتماعي كاملاً.

من هنا: هل يجوز لنا أن نقول إن تجربة الأسر لمدة تتجاوز السبعة أشهر، لتنتهي بعد عملية إطلاق سراح تحت إشراف الأمم المتحدة، قد حفرت أخاديد يجري فيها الحزن داخل نفس أحمد الدوسري، لم يتوقف جريانها إلى الآن. حزن لا يوازيه أي حزن، ولا يمحى من النفس، حزن لا يقتلك ولكنه يفتت فؤادك ويجعلك تخشى نفسك قبل أن تخشى الناس. ولأن المقاومين مكانهم الحقيقي عادة فوق منصات التتويج مطوقين بالزهور فإن بعضهم ممن ناضل من أجل الوطن، ومن أجل القضية لا يطلب جزاءً أو شكورًا وهكذا وجد نفسه غريبًا وحيدًا حتى وهو في وطنه وبين ناسه وأهله. صحيح أن الوطن قد عاد ولكنه عاد وقد فقد الكثير من دفئه، عاد وما زالت جراحه الغائرة تنزف.

ويبتلع بحر الغربة الهائج شاعرنا، فتكون محطته الأولى إلى باكستان، وتكون نظرته الأخيرة إلى وطنه عبر زجاج نافذة الطائرة، نظرة مسافر لن يعود، لأن شيئًا حميمًا في أعماقه قد تهشم. ومن باكستان إلى أوربا وبالتحديد سويسرا، ثم السفر إلى الولايات المتحدة ومن ثم العودة إلى سويسرا مرة أخرى، ثم يستقر به المطاف في وطن أخير شعر فيه بالدفء الذي حرم منه، وطن أحبه وغنى له حين كتب أوبريت قطر المجد الذي غناه محمد عبده ونخبة من الفنانين الكبار في الخليج، وكان هذا الأوبريت وغيره من الأعمال المميزة أصدق تعبير من شاعرنا لقطر التي احتضنته وأصبحت وطنه منذئذ بعد منفى اختياري دام طويلاً.

(3)

قدم أحمد الدوسري للمكتبة العربية حوالي عشرين كتابًا حتى كتابة هذه السطور، بدأها في عام 1986 عندما أصدر كتابه الأول: "الشعر الحر بين الحقيقة والتجني"، وكان في النقد الأدبي، أثار في حينه عاصفة بين الشعراء وخصوصًا الكلاسيكيين منهم، ثم طبع رسالة الماجستير الخاصة به في كتاب معنون بـ "أمل دنقل شاعر على خطوط النار" ليصدر بالقاهرة عام 1991 وأثار وقتها أيضًا الكثير من ردود الفعل لا سيما في القاهرة. ويغرق الدوسري في خضم الغربة القاسي، ولكنه يعود إلى قرائه من خلال تجربته المريرة مع الأسر في سجون صدام حسين بروايته الوحيدة حتى الآن : "الظلام من الشمال" والتي طبعها هذه المرة بالأردن عام 1995.

ثم يقدم أول أعماله الشعرية المطبوعة، وهذه مفارقة تستحق الدراسة، بديوانه "طبقات التعساء" في جزئه الأول، والتي حملت عنوانًا فرعيًا هو: سيرة شعرية، وطبعت ببيروت عام 1995. وبعد ذلك قدم ديوانه الثاني والمطبوع بجنيف عنوانه "الكلام ما يزال للغيمة" عام 1997.

يلي ذلك ترجمته لأعمال الشاعرة السويسرية "سلفيان دوبوى" عام 1997، ليعود الدوسري بعدها كي يكمل سيرته الشعرية من خلال طبقات التعساء الجزء الثاني في جنيف أيضًا عام 1998 ثم يتبعه بالجزء الثالث، ويعود إلى النقد بعد غيبة سبع سنوات عن إصدار كتب نقدية، ليقدم كتابه "مستحيل الكتابة" ويطبعه أيضًا بجنيف، ولأنه شاعر قبل كل شيء كما يقول عن نفسه، يقدم لنا ديوانًا آخر في سلسلة أعماله بعنوان "المواظبات والمآخذ". ومن جنيف عام 1999، وبعد سنة يتبعه بديوان آخر هو "انتشار المسدس في القلب" عام 2000 وطبع بسويسرا.

لكن أبرز المحطات في إصداراته التي بدأت تتلاحق منذ سنوات

قليلة، هو احتفاء المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث بدولة قطر بإصدار أعماله الشعرية في أكثر من 1300 صفحة في مجلدين.

وفى العام 2003 يتجه الدوسري مرة أخرى إلى القاهرة ليطبع خمسة كتب دفعة واحدة عند مركز الحضارة العربية، وهى على التوالي "أنطولوجيا الشعر السويسري الحديث" و "السيرة الشعرية الكاملة" و"مستحيل الكتابة - الطبعة الثانية". والأعمال الكاملة للشاعرة السويسرية «جوزيه فلور تابي»، وأخيرًا المجموعة القصصية «هم وإلخ».

وكما ذكرنا فإن أحمد الدوسري كائن نشط عاشق للعمل الصحفي والإعلامي ومتعدد المواهب، فبالإضافة إلى أنه ناقد وشاعر وروائي، فإن له خبرة صحفية تصل إلى عشرين عامًا حيث التحق بصحيفة الرأي العام الكويتية في عام 1982 ليمكث بها ثلاث سنوات ثم يلتحق بعدها بصحيفة الأنباء الكويتية حتى عام 1990، وبعد عودته من الأسر يعمل سكرتير تحرير لجريدة صوت الكويت.

ومن سويسرا يراسل مجلتي حياة الناس، وجريدة الخليج الإماراتيتين، كما كتب في جريدة الشرق الأوسط عددًا من المقالات.

وفى إقامته بالدوحة فإنه يُعد ويُقدم برنامجًا حواريًا عنوانه: "فضاءات" والذي ينتجه تلفزيون قطر، ويستضيف فيه شاعرنا نخبة من رموز الفكر والفن والثقافة والسياسة.

ويسؤاله ذات مرة: كيف تستطيع أن تنجز كل هذا؟ ومن أين تأتى بالوقت؟ أجاب وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خجلة: «أنا لا أفعل شيئًا في حياتي سوى الإبداع، وأجد نفسي في كل ما أفعل، لذا ربما أجلس إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بي لساعات طويلة. قد لا أشعر بها مطلقًا».

وإن كان الدوسري الذي استقر به المطاف كما ذكرنا في دولة قطر قد عانى الغربة لسنوات طويلة فإن طعم الاستقرار لاحقًا، أفرز عددًا

من الأعمال التي تخلّت عنها المرارة والألم قليلاً كروايته التي ستصدر قريبًا "عصافير الأولين" بالإضافة إلى إنجازه كتابة أول أوبرا عربية، تحكي في جزء منها طرفًا من سيرة الشيخ الرئيس ابن سينا في إطار تاريخي مشوق، لا يقل بأي حال من الأحوال عن الأوبرات العالمية.

ويلوح لي سؤال لم أجد إجابته إلا عند عبدالعزيز الدوسري الكاتب والصحفي بجريدة الشرق الأوسط اللندنية، وشقيق أحمد الدوسري ورفيقه في محنة الأسر في سجون صدام، وهذا السؤال هو: كيف تحمّل شاعرنا آلام النفي الاختياري، وعذابات الغربة، وشقاء الفراق للأهل والإخوان، فأجاب الشقيق: «السر يكمن في إرادته الفولاذية التي لا يعرفها إلا من اقترب منه، والأهم حتى من الإرادة التي ربما تخور تحت وطأة وقسوة الحياة، ذلك الدعم الكبير الذي تلقاه من رفيقة دربه السيدة الفاضلة زوجته والتي تحمّلت معه ما تحمل، فقد آمنت بموهبته الحقة، ولم تكفر بها تحت ضغط الحاجة أو العوزة ووقفت بجانبه حتى نال الدكتوراه وعمل أستاذًا بجامعة جنيف وهو من خرج من وطنه ذات يوم لا يملك إلا موهبته وإيمانه بربه وبدينه». وهذا جانب يميز شخصية الدوسري بحق، فالرجل نموذج حقيقي للمثقف المسلم الملتزم بدينه، رغم أنه عاش في الغرب لسنوات طويلة، وقد لمست هذا الجانب بنفسي حين أتيح لي أن أرافقه في رحلة رمضانية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وفي هذا الجانب، تكمن المظاهر المباشرة والخفية في نصه الشعري والنثري، التي تنثال من فضاء التأمل، فقد ظهرت سمات كثيرة من التصوف في شعر الدوسري، كما توضح ذلك بجلاء الإشارات التي قدمها الشاعر الأردني غازي الذيبة في قراءته لتجربة الدوسري الشعرية، وتضمنها هذا الكتاب.

(4)

وأنا فيّ هذا المقام لا أقدم أحمد الدوسري لقرائه وهم كثر، ولكنني ألقى عليه ضوءًا خافتًا متواضعًا بكتابي هذا على هذه التجربة الغنية، لكي يكتشفه من حالت ظروفه ولم يطّلع على إبداع هذا الشاعر العذب، وفي الوقت نفسه، فإن هذا الكتاب احتوى نصوصًا وقراءات ومقالات ذات طابع نقدي حول إبداع أحمد الدوسري وعالمه بأقلام نخبة، أرى أنها تسهم ولو قليلاً في منح شاعرنا جزءًا من حقه، وفي أن تقدم تجربته للقراء.

وبالطبع لابد أن أشكر كل الذين تعاونوا معي لكي يخرج هذا الكتاب إلى النور سواء الذين أرسلوا لي ما كتبوه عن الشاعر في سنوات سابقة - وبالطبع كان الشاعر قد فقدها عندما سلبت محتويات منزله في الثاني من أغسطس عام 1990 - أو الذين تحمّسوا للكتابة مرة أخرى خصيصًا، حتى لا تفوتهم فرصة أن يدلوا بشهادتهم حول إبداع الدوسري الشعري والنثري، وأخصّ بالذكر: الشاعر العراقي الكبير عبدالرزاق الربيعي، والشاعر الأردني غازي الذيبة، والدكتور الأديب محسن الرملي، والكاتب عبدالعزيز الدوسري، والصحفي المصري طه حسين.

وأشكر بكل صدق السيد على عبدالحميد، مالك ومدير مركز الحضارة العربية، الذي بذل جهودًا كبيرة من أجل أن يخرج هذا الكتاب إلى النور. كما أشكر كل المجلات والدوريات التي راسلتها، فردت علي مشكورة وزودتني بما كتب عن الدوسري فيها.

وأخيرًا تبقى لي كلمة، وهى أنه قد يقول البعض ممن لا يحبون أن ينجح الآخرون: لماذا تقدّم كتابًا عن صديق؟ ولماذا تتحمل كل هذه المشاق من أجل أن تعرف الآخرين بآخر؟ ربما يكون في الأمر مصلحة ما أو مجاملة ما؟

وأقول لهؤلاء ولهم الحق في أن يتساءلوا بهذه الطريقة: إننا في عالمنا العربي لم نتعود أن ننصف مبدعينا في حياتهم، وتعودنا على أن نجلب لهم السعادة وهم أموات فقط، بل إننا كثيرًا ما ننساهم، ونتركهم يموتون ثانية في تلك الغياهب الممضة والقاسية، والتي لا تقل وطأة عن منافينا اللعينة، هذه التي تجعلنا نضع علامات استفهام وأسئلة من هذا النوع، إذا ما كرّمنا حيًا، أو احتفينا بمن يستحق الاحتفاء.

ثم ما ضير أن يكون الشاعر صديقي؟ فالصديق هو الذي يعرف جيدًا موهبة صديقه، و هو أولى الناس بأن يحتفي به. فبالله عليكم لماذا لا نحتفي بشاعر أو روائي أو فنان تشكيلي أو أي مبدع آخر، صديقًا أو غير صديق، جرفه بحر الغربة الهائج إلى نقطة عميقة مظلمة؟ في الوقت الذي يعانى فيه مبدعونا الذين يعيشون وسطنا من هذه المهمة النبيلة والصعبة أيضًا، ويذهب بعضهم للاحتفاء بالتوافه، وأنصاف القامات والمدّعين! وفي الوقت الذي تفرش فيه البُسط الحمراء وتلقى الزهور وتضيء عدسات الفلاشات على مطربة ساذجة ليس لها علاقة بالغناء لا من قريب أو بعيد، نجد المثقف أسيرًا للوحدة والتجاهل المتعمد، حتى من أصدقائه الذين يعرفون قدره أكثر من غيرهم: لماذا؟

لذا أقولها مرحبًا بكل مَنْ يحتفي بمبدع حقيقي. مرحبًا بكل من يقدم له وردة متواضعة، تعينه على أن يكمل دربه ويواصل كفاحه، فما حاجة هذا المبدع بعد غيابه، بأكوام الدراسات والمقالات عنه، والتي تصبح ضربًا من ضروب الرثاء المر والمدبر، والمعجون بماء المناسبة، حتى يوارى المبدع التراب، نمضي في نسياننا كالعادة، وننهمك في جولة جديدة من النميمة ربما لا تبتعد سنتيمترًا واحدًا عن جسده المسجى.

فمبدعونا في حاجة لمن يربت على أكتافهم، ولمن يقول لهم من صميم قلبه وإدراكه: نحن هنا معكم، نراكم ونسمعكم، وما تقدمونه ليس حرثًا في البحر أو نقشًا على الرمال، نحن نستمع ونتلمَّس الضوء العميق الذي

أشعلتموه لنا بما قدمتموه من إبداع خلاق وفن نبيل وحقيقي، يمنحنا التجدد والألق والتقدم نحو حياة جديدة ممتلئة بالجمال والعطاء والتوقد.

وإذا كان هناك من شكر لم أقدمه، فهو للشاعر نفسه. شكرًا جزيلاً على أنه جعلني أقتحم عالمه الأثير إلى نفسه، وأفتش في حقيبة ذكرياته وأنبش فيما كان يدخره منها لقادم الأيام. شكرًا لأنه جعلني أشعر بقيمة الصداقة الحقيقية وأحس بقيمة أن تلازم مبدعًا أصيلاً فترة طويلة من الزمن، زمن فيه ما فيه من سبر للأعماق الخفية في كل منا، وفيه اشتعال لحاسة الإنسان في أن يكون إنسانًا عفيفًا، متوازنًا مع رغبته في أن يشارك الآخرين همومه، ويقتسم معهم آلامه، ويوزع عليهم بهجته وفرحه وتوقه لأن يكون بارًا بالحياة وما تهديه له من أصدقاء، قادرين على الطواف في عذاباته وجنّاته، وعارفين لقيمته، ومدركين لمشروعه، وتطلعاته في تجميل بستان الحياة وتنقيته من القباحة. وشكرًا لك قارئي العزيز لتحملك عبء القراءة في زمن أصبحت فيه طرفًا لا يقدر عليه سوى القلائل من القابضين على الجمر، ولك أقول وأنت تتقرب من عالم هذا الشاعر والروائي والقاص الجميل، ستتكشّف لك لذة العناية بالحياة، ورؤية شاعر، ظل مهمومًا طوال مسيرته - ومازال - بها، وبمعناها الحميم، والذي لا يستطيع سوى قلة الاقتراب منه. وأرجو أن يكون هذا الكتاب جسر المحبة والتواصل الذي تعبره عليه إليه.

اشرف العوضي
الدوحة 2003

إشارات في طبقات تعساء " ابن خربة "

د. عبد العزيز المقالح (*)

(1)

السؤال الأوّل الذي تطرحه هذه السيرة الشعريّة على قارئها هو : من تُرى يكون ابن خربة صاحب هذه الطبقات، وما علاقته بالشاعر والروائيّ أحمد الدوسري؟ وأعترف أنّي حاولت منذ عامين، أي منذ قرأت الجزء الأوّل من هذه السيرة أن أجتهد شعريًا - في التعريف به - أي بصاحب الطبقات الذي يشبه أحمد الدوسري في كلّ شيء ووجدتني أكتب السطور التالية:

ابن خربة شاعر ثائر متمرّد حزين ينتمي إلى أمّة تعاني من الخراب الشامل، خراب في الأنظمة وخراب في المعارضة، خراب في اللغة وخراب في الضمير، خراب في القلوب وخراب في العقول. وواضح أن هذه الأمّة التي كان ابن خربة - وما يزال - ينتمي إليها، كانت في يوم من الأيام خير أمّة أُخرجت للناس، ثم أصبحت لأسباب سنعرفها لاحقًا من سطور السيرة ذاتها (خربة) أو أطلالاً، ووجد ابنها أي ابن خربة نفسه واقفًا على تلك الأطلال ينتحب ويسجّل يوميّات الانهيار العظيم، انهيار الحقائق والأحلام، انهيار الضوء والظلام في اللوحة الكبيرة التي كانت.

والسؤال الثاني الذي تطرحه هذه السيرة الشعريّة هو :

(*) شاعر وكاتب وأكاديمى يمنى .

كيف استطاع الصديق أحمد الدوسري أن يعثر على هذه الطبقات، في أيّ خرابة من خرابات اللوحة الكبيرة؟ وتحت أيّ أنقاض من أنقاضها تمّ العثور على هذا البثّ المكتظّ بالغضب، والذي يجسّد بالألوان والظلال تراجيديًا أمّة شغوفة حتى العظم باليأس والمراثي؟ هل كان أحمد الدوسري رفيقًا حميمًا لصاحب هذه الطبقات يتابعه كظلّه ويعيش معه تحت جلدٍ واحدٍ؟ فقد استوعب من قلقه وهمومه ما لا يستطيع المتفرّج اللبيب أن يستوعب، ونجح في رصد تنهّداته وحشرجات صوته إلى درجة يجعل منهما إنسانًا واحدًا. كما وصل إلى أقصى ذروة تعبيريّة وهو يرسم بالمداد السوداويّ الساخر صورة للطبقات التي تعاني من تعاسة مزمنة لا تتشابه أو تتماثل لكنها تساوي بين الجميع: الأغنياء والفقراء، العلماء والجهلاء، القادة وصغار اللصوص، أصحاب البلايين وأصحاب الملاليم؟؟

إن أحمد الدوسري مثل ابن خربة تمامًا، فقد تعرّض لعذاب لا يُحتمل، وكان مثله يذرع الأرض بحثًا عن مكان يكتب فيه قصائده ورواياته، وهو مثله يتكلّم العربيّة، لغة الأرض والخراب التي حكمت على نفسها بالاضمحلال والتلاشي قبل أن يحكم عليها أعداؤها، وكان قادتها المغاوير هم : "براقش" التي جنت على قومها.

(2)

عندما قرأت الجزء الأوّل من هذه الطبقات قبل عامين تقريبًا، توهّمت أنني لن أقرأ الجزء الثاني منها إلاّ وقد تغيّرت صورة الأمّة نحو الأفضل وأن التعساء سيكونون أحسن حالاً ممّا هم عليه، ولكن الأيام أثبتت العكس تمامًا، فقد تضاعفت التعاسة وتضاعف حزن الطبقات، وقد يبقى الأمر كذلك لمدّة أطول ويظهر من هذه السيرة جزء ثالث ورابع، ......وكذلك لأن الخراب لن يتوقّف.

ألا ترى مثلي يا أحمد، أن فترة العامين كانت كافية ليتراجع الخراب ويبدأ ابن خربة في إخفاء اسمه أو في اختيار اسم آخر أكثر تفاؤلاً واتصالاً بالإعمار والبناء؟ وهذا يذكّرني بما يقوله السياسيّون من أن أمر الأرض الخراب لم يعد في يد أبنائها، وإذا صحّ ذلك فإن الخراب سوف يستمر، وإن طبقات التعساء ستتوالى في الظهور، ولكني أشفق عليك يا أحمد من الجهد المضني الذي تبذله في تدوين هذه الطبقات، وإن كنت أسعد ما أكون لأنك نجحت في تحويلها إلى شعر جميل يحاول بالكلمة وحدها أن يتصدّى لكلّ هذا الانهيار العظيم.

والآن لم يعد لديّ أدنى شك - بعد أن قرأت الجزء الثاني - من هذه الطبقات أن السيرة الشعريّة ليست سيرة ابن خربة وحده، ولا هي سيرة أحمد الدوسري وحسب، وإنّما هي سيرتنا جميعا نحن أبناء هذه الأمّة الآيلة إلى الخراب، إنها تجسّد روح الخوف على وطن تتلاحق انهياراته عامًا بعد عام، وكأن لا أمل في تبديل الواقع بعد أن دخل أبناء هذا الوطن في حالة من انعدام الوزن، وانعدام الإحساس بأهميّة المحافظة على مقوّمات البقاء.

ومن حسن الحظ يا أحمد أن المنفى يسنح - كما قلت في الجزء الأوّل من هذه السيرة - بالحديث عن أقلّ المواجيد. أمّا الوطن العليل فهو يحرمنا حتى من هذا القليل.

أعرف أن المنفى يجرح الصدر وأنه كالمقابر يستقبل المتوفّين حزنًا ويأسًا، لكننا عبر مصاريع شبابيكه المفتوحة، نستطيع أن نقرأ خيوطًا من النور، وأن نستحوذ على ما تبقّى من وقت لهذا الكون المريض.

النسخة الأخيرة لطبقات التعساء لابن خرية
كانت لدى الشاعر أحمد الدوسري

أ. د. صلاح القصب (*)

بدأ الموت التنازلي
صدرت الشمس عن مطابع الفجر
وانتهى توزيع أشعتها
عند الغروب.
لم تبقَ منها نسخة واحدة

النسخة الأخيرة من طبقات التعساء غسق أبدي قادر على إلقاء ظله على الجدران لكي يكون مثل كل مسراتنا الأخرى حقيقيًا، وفي طبقة من أيام العزلة لابن خرية بكى هذا القلب.

على صدر الشاطئ المهدور
تهضبت الجبال قليلاً لكي تناسب قلبي
والبحار تأجلت كثيرًا لهرمز آخر
والبواخر في عِداد المقابر
البواخر الجنائز الطافية.

تأجلت رحلة البحار كي تستطيع أن تتحمل المسافات الشاسعة بمواجهة الموت الآتي محملة بالتوابيت الماسية مارة عبر الشرق، وحيث

(*) كاتب ومخرج وأكاديمي عراقي .

الموانى التي تنهض طافية ودون شاهدة تحمل قبرًا، تحمل أسماء وتواريخ تدون طقوسًا سنوية وأسطر نعي تترك غبارًا على منضدة الموانئ المليئة بالأوراق التي احترقت في مراسيم الحرق، قصائد تكشف حنايا الرمل وتسدُّ مداخل أمطار الحروب والعد التنازلي للمقابر والمنفى عند الأعمدة الصدئة وتحت الجسور المرقعة التي يعبر من فوقها الجنود الذاهبون لمراسم الموت واللاعودة.

في طبقات ابن خرية الشعرية غنى بين الأحجار اليابسة المندفعة في الشمس غنى للفيضانات، وكان هو هناك لبعض يوم عندما تحدث العالم في كل مكان عن الأنجات المتصاعدات وعن عدد الدرجات الجبرية التي تجاوزتها مياه الفيضانات في ليلة حزن واحدة. طبقاته الشعرية فضاءات متحركة من الزجاج الملون وما أن تتغير أوضاعها حتى تكوّن أشكالاً لا نهاية لها من الأشكال الهندسية الملونة، أجسادًا طافية فوق مياه تندفع في الشوارع مثل ورقة تنطلق فوق المطر أن تتحول إلى انبساط مثل دمية سيلوفانية شفافة وخيالية تدوسها الأقدام العابرة.

في رحلة ابن خرية اعتقدنا أن الجسد بإمكانه وببساطة أن يواجه مصيرًا أقل ألمًا بالرغم من أنه لن يُضيّع متعمدًا هذا المصير، الأشياء التي سيفعلها هذا الجسد عندما يمنع في النهاية من التنفس سيضع خطط منافسات أمام الطوفان الزاحف ليراقب الشكوى والارتعاش والألم والاختناق في الشمس والهواء.

في رحلة الشاعر أحمد الدوسري انطفأت الأنوار بعد عشائه الأخير والظلال تجلس بلا تفكير لتتعاطفي من قسوة النهار وانعكست المصابيح الزيتية في عيونهم كرات بيضًا مثل رنين أجراس، كنا نرى ظلالاً في قصائده المزدحمة بأضواء قاسية تجعل التميز ممكنًا عبر عدسات الشاعر أحمد الدوسري الغامضة وكانت عدساته تقرّب اللمسة والجسد

وتعيد اللون إلى اليد الخدرة حتى يسوّد الجلد ويمحو الزوايا الحادة والحيطان الأربعة، كانت الظلال تتعرى من خلال عدسات الشاعر وكنا نسمع طَرقَات تقطع شوارع المدينة المدججة بأحذية العسكر الثقيلة، وعيونها غرقت في الجمجمة بينما كانت تتصلب حجرًا وكنا نراقب ماء جسدها المعذب.

كانت رحلة ابن خربة التي منحتها السنون الحكمة ترتعش في دهاليز العقل، تواجه النهاية في رحلة لا يمكن وصفها، كنا نرى مصابيح مشتعلة في الضباب عبر فتحات جدران سوداء مهشمة هشمتها القنابل والحروب وكنا نسمع صوتها المنفى وكنا نرى آثار أقدام وهوامش قصائد وبعض خرائط رسمتها طيور مهاجرة وكنا نراقب جسدًا يهدهد المواسم المنتشرة عند صخرة وداخل خطوط متحركة.

أهو الزمن يرتحل بعيدًا عند حافة الحلم؟

أهو الذي يغلق عيوننا بهدوء؟ الرحلة تتواصل في انكماش الفراغ.. لكن إلى أين تذهب يا ابن خربة إلى أية مواجهة مهلكة، ومثل ساعة مفقودة تبدو هذه الرحلة المعتمة لك.

شيعوه إلى منفاه الأخير
وتركوا مثواه يئن وحيدًا في الوحل
في الملل/مالت كفة الصباح لصالحه
وانسحاب العشب في ثغرة كاملة في قلبه
ثغرة في صفوف الدمع مبل المنفى
.....
بحثنا عن الغربة الفاضلة أو
المنفى الفاضل

يا ابن خربة هل تظن أن المنفى مازال يئن وحيدًا في غربة الأمطار

والمقاهي ومحطات القطار ومقابر الموتى؟؟!

هل مازلت تظن أن الحب يعيش في غرف دافئة وأنه يُمسخ عندما يخرج إلى الخارج؟ هل تظن أن الأرض تحت قدميك ستبوح لك بسر وجودك على ظهرها؟؟ هل تحس بلحظة لا متناهية عندما تضع قدميك على الرصيف؟ وهل يغريك هذا أم أنك مثلي تظن أنك لا تعرف شيئًا البتة؟؟.

هل تسمع؟

هل أبدأ من جديد مكررًا نفس القصيدة؟؟

أظن أنني أعرف أو أنا لا أعرف ولكن أريد أن أعرف.

الشاعر أحمد الدوسري يرى جموحًا وحشودًا من البشر لا نستطيع رؤيتهم، إنهم يسيرون يرحلون إلى مدن منفية ترتفع على جانبي الطريق، يعيشون في شجرة الزمن على صفحات أوراقها العريضة يحفرون قبورًا لمن لا نعرفهم، إنهم يسحبون آلة التصوير، يسحبون الفيلم ويتركون الشمس تقتل الصور، هكذا تموه الحقائق عندما تتعرض لضوء النهار.

هل تفنى الصور؟ أم أنها فقط تصبح غير مرئية؟ وهناك أحلام يصعب رؤيتها رغم قربها منا، إنها تعيش أبدًا نورًا في عيون متعطشة بجسد مدفوع إلى الأمام ورياح الزمن تجري باردة وعيوننا تفيض بالدموع، وهناك يجلس ابن خرية منطويًا وملابسه في قماش الصبر تعود إلى قرن قضي نحبه كله وكان البحر في ذهنه يتمرغ في الماء، والمارة يسمعون ضجيج قلبه مثل جنازير الحرب حلّ محل عمود النور.

حلمك يا ابن خرية جثم على ركبتيه.. جلَّ من لا ينفى يا أنت الذي كان صدره ذريعة للجميع.

الحزن يقطرُ من جنبات القصيدة

علي ناصر كنانة(*)

(كيفَ أنجو من مسافاتكِ/ من منفاي/ من فوضاي/ آه يا بلادي
آسيا مشنقةٌ من طوكيو حتى فؤادي!
من حدود الصين حتى طعم قلبي/ شبحٌ كل بلادٍ
قاومي/ واستبدلينا بمفازةْ/ عدّلينا كجنازةْ
امددلينا في قميص الليلِ منفى سنويّا
أين نمضي أيها البحرُ لنولَدْ؟/ أين نُغمَدْ؟
رفضونا/ من كويتِ النفطِ حتى رأسِ فاسْ
رفضونا/ فارفضيهم
ارفضي قبّعةَ الشرطيِّ والوردةَ
مرحى للمنافي!).

بهذه الكلمات ينسجُ الشاعر أحمد الدوسري بعضًا من عمق الفجيعة التي تغوص فيها أمّةٌ تتنكّر لأبنائها، وهي ترى على تخومها أممًا أخرى تستوردُ أبناءً لا ولدوا فيها ولا لآبائهم وطءٌ على أديمها. ففي بعض البلدان العربية يتم تصنيف المواطنين إلى درجاتٍ في الجنسية ويُهمَلُ بعضُهم بدون جنسية: غرباء في أوطانهم. وفي واحدة من هذه الدول:

(*) شاعر وكاتب عراقي.

المقاطع الشعرية المذكورة في النص مستقاة من الأعمال الشعرية للدكتور أحمد الدوسري.

الكويت، التي وُلدَ أحمد بن حسين الدوسري فيها، يُحجَرُ حق المواطنة عن بعض أبناء هذه الأرض لأسباب واهية لا صلة لها بأبسط الحقوق المدنية أو بقوانين العصر أو بحقوق الإنسان، بينما تُمنح الجنسية (ومن الدرجة الأولى في بعض الأحيان!) لآخرين ولدوا في أرض أخرى!

وذاتَ يوم شجاع استنكفَ الشاعر أحمد الدوسري الاستمرار بالكينونة فيِ بلادٍ تفرِّطُ بأبنائها ففضّلَ غربةَ المنفى على غربةٍ في الوطن ليهاجرَ إلى سويسرا التي منحتْهُ الجنسيةَ السويسرية في غضون عدّة أعوام ومن الحقوق كل ما يتمتع به المواطنون السويسريون.

(جئتَ يا احمدَ غير الوطني
جئتَ يا احمدَ غير العربي
في طواحينِ اذاهم
يا انا يا احمد المنفيّ
أيقظت اكتناهي
وانتباهي
متحفٌ لفجر في روحي
واحلامي صلاةٌ ومسطَ قلبي
وشفاهي
انسحابٌ للقبائلْ).

غادر الشاعر الدوسري بلادَه الكويت (وهي بلاده رغم أنف مَن لا يعترفون له ولأمثاله بذلك) ظنًّا منه بأنه سيتحرّر من هذا الوجد المقيم في كل تفاصيل حياته وروحه، ولكنه أخفقَ في نسيان ما لا يُنسى، وكأن ناظم حكمت يردّدُ في عروقه:

(سُجِنَ الشاعرُ في الجنّةِ، فصرخَ: آهٍ يا وطني).

هاجرَ أحمد إلى المنفى حاملاً حقيبة آلامه معه، تلك الآلام التي

تناثرتْ في شعرهِ صرخاتِ وجدٍ وعتب وإدانة، واستحالَ شعرُهُ إلى رحلةٍ عجولة ليس بحثًا عن وطن وإنما بحثًا عن الوطن. وإذا ما تفحّصَ دارسُ الأعمال الشعرية للدكتور أحمد الدوسري سيلاحِظُ أن العالم الشعري للدوسري مغلقٌ على هذا الحزن المديد الذي يقطر من جنبات القصيدة:

(قمرٌ أحوى
أمتطيه إلى المنفى
واكبُدُهُ نورا
ويشقُّ طريقًا إلى قلبي رهوا
قمر أحوى
يضرب بعصاه القلب
فينبجسُ وطنٌ منه
واثنتا عشرة غربة).

ذا هو الشاعر: قلبٌ يقطرُ وطنًا، وشعرٌ يقطرُ حزنًا. شعرٌ يلقي بنا في الحزنِ ذاته وبالعمق ذاته، ونحن نسمع في صوته صوتًا ينزف مرارةً تتصادى في كلماتٍ قادمة من ذاكرة الأمة الشعرية: أضاعوني وأي فتى أضاعوا !

***

ولستُ هنا لأدرسَ شعرَ الدكتور أحمد الدوسري، وهو شاعرٌ غزير الإنتاج جاوزتْ أعمالُه الشعرية 1300 صفحة، وليس في وسعِ شهادةٍ عجولة أن تزعم ذلك، بيْدَ أن من المهم الإشارة إلى أن الشاعر الدوسري ذو ريادة في مجال كتابة النثر المقفّى، وهو تجريب كان يقتضي منه التنظير له برؤيةٍ مصاحبةٍ للأعمال الشعرية لكي لا يلتبس الأمر على القارئ العادي.

وسوى ذلك فإن كلّ مَن عرفَ الدكتور أحمد الدوسري (وقد زاملتُهُ

في العمل بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر) بأنهُ شعلةٌ من حيويةٍ لم أخبرها لدى سواه، فهو يشتغل بطاقة عدّة رجال مثابرين. متّقد الذهن، لديه على الدوام أجوبة على الأسئلة المحتملة وحلولٌ للمسائل الطارئة. يقابل ذلك كله تنوّعٌ في الإبداع: فهو شاعر ومؤلف أغانٍ وكاتب مسرحي وروائي ومترجم ومعد ومقدّم برامج ثقافية وإعلامي. وهو الذي:

أخذَ الحيطةَ من جراتهِ وانكفا
لا يبدّدُ عشبَ مناكبهِ أحد
واختفى
في عقرِ تسابيحهِ واكتفى
......
حين صارتْ دهشتُهُ ملءَ طريقْ
أفلتَ قلبَهُ واختفى
......
أفلتَ حيطتَهُ من معاقلها وبكى
فوق صدرِ فلاة.

***

أمل دنقل على خطوط الدراسة الأكاديمية

عبد الرزاق الربيعي (*)

لقد آن الأوان حقًا لكي نقول للنقاد : " إن الشعراء الرواد قد أخذوا ما يكفي من الاهتمام والدراسة والبحث، وهذا لا يعني إهمالهم أو إغفال دورهم في الريادة، غير أننا ندعو إلى إعادة جدولة جهودنا، أن نلتفت إلى الأجيال الشعرية الأخرى، فهي لا تقل عطاء وبعضها دفع القصيدة العربية إلى فضاءات بعيدة ورحبة في الوقت نفسه لم تتسن للرواد "

بهذا الاستهلال يشرح الشاعر أحمد الدوسري أسباب اختياره للشاعر أمل دنقل موضوعًا لدراسته لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي من جامعة بغداد بدرجة "امتياز" وقد نشر دراسته في كتاب عنوانه " أمل دنقل.. شاعر على خطوط النار " عن دار الغد في القاهرة.

يوضح الدوسري في مقدمة دراسته أسباب اختياره لهذا الشاعر قائلاً: انطلاقًا مما سبق آثرت أن أتناول شاعرًا جاء بعد جيل الرواد، وظلم مرتين، لأنه لم يكن من جيل الرواد، الجيل المحظوظ والمستأثر بكل الشهرة والدراسة والنقد، ومرة ثانية لأن أجهزة الإعلام المصرية والعربية - آنذاك - منعت تداوله أو النشر له، بحجة أنه شاعر ثوري ! ومادامت الأجهزة قد منعت ذلك فإن النقاد آثروا الصمت وترك هذا "المشاغب" وشأنه متخوفين من ردة الفعل الرسمية. ويواصل الدوسري فتحه للنار على النقاد والرواد لينصف أمل دنقل، رغم أن الدراسات النقدية التي

(*) شاعر عراقي.

كتبت عن أمل دنقل، ليست بالقليلة إذا قيس بسواه من الشعراء الذين لهم دور كبير في القصيدة العربية الحديثة كالشاعر سعدي يوسف، أما عن التخوف من ردود الأفعال الرسمية - كما ذكر - فهذا أمر فيه مبالغة. فالشاعر أمل دنقل لم يكن بالخارج على النظام السياسي القائم بالشكل الذي يجعل الأجهزة الرسمية تحاربه، فقد رثى "يوسف السباعي" بقصيدة أثارت استياء الأوساط الثقافية المصرية واستغرابها، كما ذكر الدوسري في كتابه، كما أنه لم يضطر لمغادرة بلاده، ولم يسجن كأحمد فؤاد نجم، مثلاً، كان بالأحرى بالدوسري أن يسجل على الجامعات عدم التفات الدراسات الأكاديمية لهذا الشاعر المهم، لأن أغلب هذه الدراسات ظلت محصورة ضمن مرحلة الرواد؛ فجاء ليعطي لأمل دنقل حقه، آخذًا في الاعتبار الموقعين التاريخي والشعري ضمن منهج يتسم بالشمولية وكانت خطوة موفقة، لا تخلو من الشجاعة والجرأة لقلة المراجع المتوفرة، إذ اعتمد الدوسري في دراسته على ما تناقلته الأفواه والصحف وأحاديث الشاعر الصحفية وهي قليلة نسبيًا لما عرف عن الشاعر من عدم استقرار ولا مبالاة اجتماعية، وقد تناول الباحث في دراسته حياة الشاعر في الفصل الأول محتكمًا إلى التفسير والتحليل النفسي وربط الحياة بالشعر لأنه رأى أن أمل دنقل كالسياب حياته في شعره.. وشعره في حياته، تجربتان متطابقتان، ومن هذا التطابق الذي يتجسد في المرض والموت المبكر والتجربة المبدعة الخلّاقة استطاع أن يتوصل إلى نتائج باهرة.

وخصص الفصل الثاني للبحث في الرؤية التي فككها إلى أجزائها وعناصرها؛ لتصبح أمامه في النهاية زوايا عدة للنظر ومنطلقات متعددة أنتجت نص الشاعر. وتناول الباحث أدوات الشاعر الفنية في الفصل الثالث الذي كان واسعًا حيث درس فيه الصورة، الإيقاع، اللغة، البناء الفني، راصدًا الظواهر المقاربة من كل مبحث.

أما المحتوى أو المضمون فقد أوضحه في الفصل الرابع متوقفًا أمام قضية الوصل بين الشكل والمضمون.

إن النقلة النوعية على مستوى الفن التي حققها الشاعر أمل دنقل، جعلت الباحث يميزه عن رواد القصيدة العربية الحديثة، إذ انتقل بها من البساطة إلى التركيب والتعقيد، وقد شملت هذه النزعة التركيبية كل الوحدات الفنية في شعره وهو ما ضمن له مكانة لا تخطئها العين الفاحصة في الخارطة الشعرية العربية فضلاً عن بنائه الشعري المتين الزاخر بالدراما.

لقد استطاع الدوسري أن يحقق قراءة في الاختيار خصوصًا أن جامعاتنا لا تزال تنظر إلى تجربة الشعر الحديث وفرسانها نظرة ريبة وبذلك سجَّل الباحث نقطة مهمة لصالح بحثه الذي يتمنى للدارسين أن يحذوا حذوه، فقد آن الأوان لهم أن يلتفتوا للأجيال الأخرى، كما يقول الباحث.

الحداثة الشعرية في الجزيرة العربية
رؤى واتجاهات مغايرة

عبدالرزاق الربيعي

ولأنها مهد القصيدة، ظلت فتوحات الجزيرة العربية الفكرية والفنية والعلمية علامات ترسم على الطريق ملامح إرثها الحضاري الذي يشع ليغمر بقية المراكز الثقافية بألقه الباهر. وعطاءات إنسان هذه المنطقة التي أنتجها عبر مخاضات طويلة وكان لابد لهذه الإنجازات التي تعكس حيويته الفكرية أن تتواصل لتدخل العصر الحديث متسلحة بذلك الإرث النابت في وجدان المكان.

ورغم المكانة الرفيعة التي احتلها شعر الجزيرة العربية على مر العصور في الآداب العالمية إلا أن نصيبه من الدراسات الأكاديمية يكاد يكون شبه معدوم؛ لأسباب غامضة، ويكفي القول إن هناك دراسة توثيقية واحدة أنجزتها الدكتورة (نورية الرومي) وتوقفت فيها عند عدد من النماذج المبكرة للقصيدة الحديثة، لذلك جاءت دراسة الشاعر والباحث (أحمد الدوسري) الموسومة: (اتجاهات الشعر العربي الحديث في الجزيرة العربية) التي تقدم بها لجامعة جينيف لنيل درجة الدكتوراة بإشراف البروفيسور (شارل جونكو) وباللغة الفرنسية لتفتح نافذة يدخل عبرها ضوء القصيدة الحديثة لشعراء الجزيرة العربية إلى قاعة الدرس الأكاديمي، لكي يتمكن الباحثون الأجانب من الاطلاع على المستوى الرفيع الذي بلغته هذه القصيدة، تتألف الدراسة التي أوصت لجنة

المناقشة بطبعها ومنح (الدوسري) درجة الدكتوراة بامتياز مع درجة الشرف الأولى من جزءين وثمانية فصول.

تناول الباحث في الجزء الأول تجارب شعراء حافظوا على القصيدة العربية التقليدية من ناحية البناء الفني، لكنهم جددوا فيها لغة وإيقاعًا، وصورة وموضوعات وربطوا الشعر لأول مرة بالإنسان والوطن، ويأتي على رأس هؤلاء الشاعر (عبدالله البردوني) الذي رأى الباحث إنه جعل الشكل التقليدي عاملاً مساعدًا في دخول القصيدة العربية معترك الحياة والناس وقضايا الوطن، ومن قبله حاول (الزبيري) - الذي اغتيل في اليمن في مطلع الستينيات - ذلك، وتوقف الباحث عند تجربة البردوني باعتبارها تجربة مهمة ليس في اليمن وحده، ولكن في عموم الجزيرة والوطن العربي؛ لأنه استنفر طاقات هذا الشكل الشعري كما فعل الشاعر (محمد مهدي الجواهري) الذي يعد آخر عمالقة هذا الشكل. واستعرض (الدوسري) في الفصل الثاني تجربة الشعر الحر مع الإشارة إلى إرهاصاته الأولى خصوصًا لدى (باكثير) ورأى أن لوجود (بدر شاكر السياب) في الكويت مطلع الخمسينيات هاربًا ومشتغلاً هناك أثره الحاسم في دخول القصيدة الحديثة إلى الجزيرة العربية عبر البوابة الكويتية حيث تعرف عليه (محمد الفايز) و(علي السبتي) وتأثرا به، فكتب محمدالفايز (مذكرات بحار) التي عدها الباحث من أجمل ما تم تحويله إلى غناء في الشعر العربي لكنه يرجح أن (علي السبتي) كان الأسبق تاريخيًا من (الفايز) في كتابة الشعر الحر.

وتناول الباحث تجارب عديدة أبرزها تجربة الشاعر سليمان الفليح، ومحمد الدميني، وعلي الشرقاوي، وأحمد ضيف الله العواضي، ودخيل الخليفة، إضافة إلى تجارب أخرى أكثر حداثة كقاسم حداد.

كما أفرد فصلاً كاملاً للقصيدة النسوية (الفصل الرابع) حيث رأى أن الشاعرات العربيات في الجزيرة أكثر من أي مكان آخر في الوطن

العربي كمًا ونوعًا، حيث توقف عند تجارب الشاعرات : سعاد الصباح، سعدية مفرح، ميسون صقر، فوزية السندي، حمدة خميس، ظبية خميس، عالية شعيب وأخريات، وتناول الباحث في الجزء الثاني من دراسته عدة مفاهيم وتعريفات ورؤى للشعر عبر رصد تجارب ثلاثة شعراء بارزين هم الشاعر عبدالعزيز المقالح صاحب التجربة الثرية المتطورة تطورًا مطردًا الذي بدأ تجربته ثوريًا وانتهى صوفيًا لكنه حافظ على شفافيته حيث توقف عند ديوانه (أبجدية الروح) متناولاً أهم إنجازات المقالح الشعرية والنقدية باسطًا رؤيته الشعرية والفنية، كذلك أهم أدواته الفنية، وبخاصة استدعاء الشخوص التاريخية وينتهي الباحث إلى أن المقالح يعد أكبر شخصية شعرية في الجزيرة العربية من حيث الاتجاه الذي سلكه وحده لا سيما في شعره الأخير. والشاعر الثاني الذي تناوله بدراسته التطبيقية هو (خليفة الوقيان) الذي يتفرد بلغته الشعرية الفذة وهو شاعر ملتزم برؤية عربية ثورية خالصة.

واختتم دراسته بالشاعر سيف الرحبي حيث رأى أن تجربته مغايرة تمامًا لتجربتي المقالح والوقيان، حيث تحرر منذ البدء من التزامات التفعيلة، واستفاد من كل تجاربه المكانية، فالمدن الصاخبة التي عاش فيها طويلاً مثل (القاهرة) و(بيروت) و(باريس) و(لندن) جسرت نص (الرحبي) وجعلت منه نصًا للحنين بامتياز بطاقة تحررية تقاس باللانهائي، وبالانفتاح الهائل على العالم، وإذ يعود في التسعينيات إلى بلده (عمان) فإنه يعود إليها شاعرًا كبيرًا وناضجًا، وتجربة (الرحبي) متفردة، وتبدو نسيجَ وحدِها، فنصه يجمع بين التفاصيل والكليات بين اليومي والكوني، وكل ذلك بلغة لا يحدها المبتذل، ويرى الباحث أن المكان والطفولة في شعر (الرحبي) يرتبطان بالشعرية لديه ارتباطًا وثيقًا ويكادان يفيضان من نصه على نحو كامل، ومذهل، لذا يمكن أن يقال إن شعر الرحبي هو الحياة بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات، وهو شعر لا

يلجأ إلى وسيط سواء على مستوى الرمز أو على مستوى التمايلات الفنية كما لدى شعراء آخرين. إنّ أهمية هذه الدراسة تكمن في أنها توقفت عند تجربة الحداثة الشعرية في الجزيرة العربية عبر قراءة جديدة لنتاج شعراء متميزين أثروا المشهد الشعري العربي الراهن بإبداعاتهم، فدخلوا الجامعات العالمية عبر الدرس والتحليل والقراءة المتفحصة لواحد من أبناء الجزيرة، وكم نتمنى أن نقرأ هذه الدراسة مترجمة إلى اللغة العربية لإثراء المكتبة العربية بمثل هذه القراءات الجادة لنتاج شعراء الجزيرة.

الكلام لا يزال للدوسري

عبد الرزاق الربيعي

رغم أن معرفتي العميقة بالدكتور أحمد الدوسري تعود إلى منتصف ثمانينيات القرن الماضي إلا أنني لم يتسن لي الاطلاع على جميع تجاربه الشعرية خصوصًا التي أصدرها في السنوات الأخيرة، ذلك لأن للطباعة ظروفها الصعبة في (أوربا) فبالإضافة إلى ارتفاع تكاليف أجور البريد فالنسخ غالبًا ما تكون محدودة ومكلفة للناشر، لكن قيام المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في دولة قطر بطباعة أعماله الشعرية الكاملة والتي صدر منها المجلد الأول، أتاح لنا فرصة الاطلاع على إبداعاته الشعرية التي كنا بشوق شديد لها.

والدوسري لمن لا يعرفه من الشعراء والباحثين والكُتَّاب الذين يعملون بصمت، عاش متنقلاً بين عدة عواصم عربية وأوربية حيث واصل دراسته العليا بآداب اللغة العربية لينال درجة الدكتوراه في شعر الجزيرة العربية التي نال عليها درجة الشرف الأولى مع توصية بطبعها، وبالإضافة إلى نشاطه البحثي والنقدي، فقد قام بترجمة أعمال شعرية فرنسية للعربية كأعمال : سيلفيان دوبوي التي صدرت عن دار (أزمنة) عام 1996 وموريس شاباز وجوزيه فلور تابي وله كتاب نقدي صدر في القاهرة عنوانه (أمل دنقل شاعر على خطوط النار) ورواية عنوانها (الظلام من الشمال) صدرت عام 1995 وعدة مسرحيات.

لقد أتاحت له عزلته أن يكون منتجًا، لكن نتاجه لم يكن يصل إلى يد

القارئ العربي حتى بادر المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر إلى طباعة أعماله الكاملة التي تضم ست مجاميع شعرية هي : (المواظبات والمآخذ) (القلوب الرحّل أو شيء الأشياء) (عزلة في تابوت الفوضى) (لا أحد أو الطريق إلى باشا غارسيا) (الكلام لا يزال للغيمة) بـ (623) صفحة.

في قصائد الدوسري – وكتاباته المسرحية والروائية كذلك – نلمس حزن إنسان عربي فتح عينيه على واقع مأزوم مليء بالأورام السياسية والاجتماعية، حاول النهوض به عن طريق العمل الثوري فتكسرت أجنحته عندما اصطدمت بقضبان القمع في عالم يتقلى على نار الدكتاتورية، لذلك لم يجد أمامه سوى التحليق بأجنحة القصيدة ليرسم بالكلمات عالمًا جديدًا يستمد ألقه من موروثنا الفكري والحضاري وقيمنا الأخلاقية السامية، هذا العالم رسمه بريشة فنان مبدع يمتلك مخيلة خصبة وثقافة واسعة وقدرة رائعة على تشكيل الصور الفنية، والتقاط تفاصيل الواقع بمجسات حساسيته المرهفة، وقد استفاد كثيرًا من البناء القرآني في صقل جملته الشعرية وشحنها بالدلالات والعمق البلاغي، وقد مكّنه اطلاعه على الشعر الفرنسي بلغته الأصلية في تطوير أدواته الفنية عن طريق الاستفادة من تقنيات القصيدة الأوروبية الحديثة.

وتراه في هذه المزاوجة حذرًا يحاول كتابة نص يجمع فخامة اللغة العربية بأبنيتها وعبقريتها وعمقها الضارب في الوجدان مع شكل فني يتماهى مع روح العصر دون التفريط بهويّته الشعرية المنقعة ببحيرة أحزان الإنسان العربي الذي لا ينقطع عن رسم دوائر الأحلام في الفراغ.

الصوت الشعري الصادق يمنح الحب دون مقابل

أمل دنقل يسير على خطوط النار

وأحمد الدوسري يكشف وقع خطواته

أمين عبدالحميد مرسي(*)

الشاعر المجيد دوحة يستظل بها الوطن وقت الهجير، وقارورة عطر تضمخ جبين المتعبين.. والشاعر الراحل أمل دنقل تعبير عن شوق مجتمعه وحلمه وفلسفته، ومظهر الوعي فيه، وأشعاره صوت هادر قادر على أن يمنح الحب بلا مقابل، فشاعرنا حمل قلمه بين ضلوعه، وعرّى مواطن الظل في الإنسان، وغاص في أعماقنا يستشرف الأمل البعيد.

خطوط النار

الشاعر الباحث أحمد الدوسري دخل دائرة البوح، وسلّط الضوء على شاعرنا بأطروحة نال بها درجة الماجستير بامتياز، وطبع رسالته في كتاب حذف منه الملاحق وفهارس الأعلام والأماكن وثبت المراجع، وفتح الباب على مصراعيه أمام رياح الشعر العاتية في كتابه «أمل دنقل.. شاعر على خطوط النار» الصادر عن دار الغد للنشر والدعاية والإعلان بالقاهرة، ويقع في 289 صفحة من القطع المتوسط أهداه إلى شهداء وطنه وأبطال الكويت، زمن الظلم والظلام حين اغتال النظام العراقي

(*) كاتب مصري.

الوطن الكويتي، وضمّن كتابه نتائج البحث الذي يضم بين دفتيه مقدمة، وأربعة فصول تناول في الأول منها سيرة الشاعر، وينابيعه الثقافية وأدبه، وموقف النقد منه، أما الفصل الثاني: فيتناول ثالوث الإنسان والمجتمع والسلطة، وفي الفصل الثالث الحرية والوطن والمرأة والزمن والإيقاع واللغة والبناء الفني والملحمية في شعر أمل دنقل المصفوف على رفوف الذاكرة.

منهج البحث

سلك الباحث أحمد الدوسري في دراسته مسلكًا وعرًا حين اعتمد المنهج الشمولي في البحث فلم يحتكم للنصوص الشعرية وحدها، وعمل على إحالة النص إلى أصوله الأولى، كما أحال الأصول إلى النص كإبداع يغني ويثري ويوجّه الواقع العربي، ويمتلك دلالات تاريخية ونفسية وجمالية.

فالنص الشعري فلسفي يعطي تصورًا للعالم، وأخلاقي يتضمن المعايير العامة للسلوك، وقانوني يعطي أحكامًا، ولغوي صدرت ألفاظه وصوره من ثقافتنا وبيئتنا العربية، ولهذه الألفاظ مخزون نفسي لدى المتلقين تعيش في أعماق الشعور، وللنص بنية زمانية ومكانية وواقعية، وبشرية وصوتية، وذهنية ولغوية وسياسية، والقائمة طويلة، وبذلك شغل الباحث نفسه وشغل الناس، حيث تتباين المذاهب وتختلف المنازع حول خصائص النص الشعري وصياغته لدى أمل دنقل ولو كنت مكان الباحث لفضلت الاعتماد على نظريات الأدب المقارن، التي تهتم بدراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب خارج حدود اللغة القومية التي كتب بها لأن هذه النظريات تركت بصماتها على الفكر والأدب وساهمت في الإحياء، وبعثت في شرايينه ومرتكزاته الثابته نوعًا من الحركة والحيوية تصل في النهاية بنا إلى قراءة منتجه بحيث لا تطالع الحاضر في صورة الماضي فالحياة في حركة مستمرة لا تقنع

بالترميم أو الظلام الخارجي ولا تنفع معها المراجعة والتكرار والاجترار في آن واحد معًا.

مفتاح الأمان

جهد الباحث واضح في كتابه ودرجة الامتياز من جهة أكاديمية تقطع دابر الألسن، وتزكٍّي الدراسة وتنفي الصخب بحيث لا تغيب تساؤلات الذهن وأحكام العقل، ومن هنا دفعنا الباحث إلى تجاوز ما نحن فيه إلى ما هو أعمق وأشمل فهو لا يطمس الحقائق بل يجليها، وينحي الكتابات الهزيلة ويلغيها فلا يعول عليها إذ لا ترجي منها فائدة.

يقول الباحث في معرض حديثه عن أمل دنقل: راح يصغي لكل صغائر الحكايات الموروثة التي يبثها العقل العام باهتمام الباحث الذي يعرف أنّ وراء مثل هذه التفاصيل خارطة تساهم في تشكيل ملامح الإنسان المنسجم والمتحدي.. ولعلنا في قصيدته مقتل كليب لا تصالح نعثر على مفردات التحدي الذي اختاره وهذه القصيدة تعبر عن أمل الإنسان العربي المؤمن بأن الوثوب حقيقة الوجود وأخذ الحق المغدور مفتاح أمان فتخرج من هذه القصيدة النبرة الحادة التي يتسم بها أمل دنقل ص 106.

لا تصالح ولو منحوك الذهب
اترى حين افقا عينيك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما
هل ترى؟
هي أشياء لا تشترى

هكذا قدَّم أمل دنقل خطابه الشعري المميز وهويته الخاصة وخصائصه الجوهرية وتقاليده القومية، ومراحل الإنسان العربي ومأزقه ووجوده، فهو شاعر يرفض الاجترار والتقليد والفكر الجزئية والرؤى السطحية.

الوعي بالذات

والباحث في عرضه وبحثه يركز على الخصوصية الجوهرية للإنسان العربي في شعر دنقل حين يعبر عن وعيه بذاته وصراعه من أجل إثبات وجوده عبر الفترات التاريخية المتعاقبة.. هذا الإنسان يسعى إلى نشاط اجتماعي يحدد مستقبله، ويهدم كل أساليب السيطرة وعلاقات الخنوع، إنه يحاول تجسيد منطقه وحكمته داخل واقع اجتماعي وثقافي يجافي الحقيقة الجديدة للعالم.

والباحث يحاول جاهدًا تسليط الضوء على الخطاب الشعري الخاص بتطوير الوعي والإحساس بالعالم. فيتم التداخل والتفاعل بين كتابته والحياة في نسق غير ممزق، ودوائر ليست منفصلة لها منهج شامل يجسد الطاقات الإنسانية ويعكس النشاط الإيجابيّ ويوضح أسباب القصور في الواقع وكيفيّة تخطيه حتى لا يكون فريسة للطعنات التي توجه إليه من كل حدب وصوب.

لقد قدَّم أحمد الدوسري لنا أمل دنقل كما عرفناه قبل الرحيل بمقهى ريش في القاهرة دون أن تنهشه الميول الشخصية، والكتاب بصفه عامة مزيج من المناهج الجمالية والنفسية والتاريخية والأسلوبية لم تكن قاصرة على بلوغ الأمل، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

الدوسري و دنقل.. على خطوط النار!!
شاعر مبدؤه الشك ويقينه الأمة

سعد فرحان الخالدي (*)

قلائل يعدون، أولئك الذين حاولوا أن يلجوا كيان آخرين ليعودوا ممزقين وجعًا بمرجع يحوي حياة كاملة بكل لحظاتها.

لعل أحمد الدوسري أحد أولئك القلائل.. نقرؤه في مقدمة كتابه حول عالم أمل دنقل الشاعر وهو يقول لقد آن الأوان حقًّا لكي نقول للنقاد إن الشعراء الرواد قد أخذوا ما يكفي من الاهتمام والدراسة والبحث وهذا لا يعني إهمالهم أو إهمال دورهم في الريادة، غير أننا ندعو إلى إعادة جدولة جهودنا.. أن نلتفت إلى الأجيال الشعرية الأخرى، فهي لا تقل عطاء وبعضها دفع القصيدة العربية إلى فضاءات بعيدة ورحبة في الوقت نفسه، لم تتسنّ للرواد.

كتاب الدوسري (أمل دنقل شاعر على خطوط النار) دراسة مكثفة عن شاعر لهذه الأمة عاصر فترة ليست هينة أثرت الأدب العربيّ بالألم العربيّ، حاول من خلالها الدوسري أن يعطي أمل دنقل حقه التاريخيّ والشعريّ، وقد قسّم الكتاب إلى أربعة فصول، أولها: تناول حياة الشاعر باحتكام إلى التفسير والتحليل النفسي، وربط الحياة بالشعر معتبرًا أمل دنقل كالسياب حيث: حياتهما في شعرهما، وشعرهما عن حياتهما والتجربتان متطابقتان.

(*) كاتب كويتي.

السيرة الذاتية

يتحدث أحمد الدوسري في هذا الفصل عن السيرة الذاتية للشاعر أمل ، مات أمل دنقل، هكذا صرخت إحدى المجلات العربية الصادرة في اليوم التالي على انطفاء المشهد الختامي لشاعر ملأ الشوارع صخبًا ورفضًا وعلقت أخرى.. مات آخر الصعاليك ومثل أغلب شعراء ومبدعي مصر ولد أمل دنقل في صعيد مصر في قرية القلعة بمحافظة قنا في أقصى صعيد مصر في 23 يوليو 1940 وقد وضع المؤلف الخطوط العريضة لطفولته وصباه منذ بداية العاصفة التي شتتت ثوابت حياته حتى حصوله على الثانوية العامة، وخروجه من الصعيد في عام 1958 حيث التحق هناك بآداب جامعة القاهرة، قسم اللغة العربية ونشر في مجلة صوت الشرق أولى قصائده في نفس العام.

قرر السكن نهائيًا في القاهرة عام 1966 حيث كتب أول قصيدة عربية معاصرة، تعكس أبعاد مأساة هزيمة الخامس من يونيو 1967 بهذا المستوى من النضج الفني الواضح في قصيدته، البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، حيث كتبها بتاريخ 13 يونيو 1967.

أيتها العرافة المقدسة.
جئت إليك.. مثخنًا بالطعنات والدماء.
أزحف في معاطف القتلى، وفوق الجثث المكدّسة.
منكسر السيف مغبرّ الجبين والأعضاء.

وينكب ثانية بوفاة الأب جمال عبدالناصر في 28 سبتمبر 1970 فيكتب مرثيته في عبدالناصر: لا وقت للبكاء.

رأيت في صبيحة الأول من تشرين جندك.. يا حطين
يبكون

لا يدرون
أنَّ كلّ واحد من الماشين
فيه.. صلاح الدين.

ويواصل الدوسري عبر الحديث عن سيرة أمل دنقل ذكر الأحداث التي واكبت إصدار مجاميعه الشعرية بتدرجها الزمني، وكأنها تحكي حياته مؤكدًا أن شعر أمل دنقل عن حياته.

ينابيعه الثقافية وأدبه:

في الباب الثاني من هذا الفصل: رصد لينابيع أمل دنقل الثقافية المتمثلة في اللغة العربية أول مكونات ثقافته باعتبارها شيئًا مشتركًا وعامًّا بين الشعراء والقرآن الكريم الذي حفظ - وهو طفل صغير - أجزاء كثيرة منه، والتوراة والإنجيل وكتب التراث والشخصيات التاريخية والأسطورية، والأسطورة إقليميًا وعربيًا، إسلاميًا، أجنبيًا، ثم الحكايات والسير والملاحم، فالأغاني والمأثورات الشعبية، والشخصيات المعاصرة فالشعر الحديث.

أما أدب دنقل وموقف النقد منه فهو الموضوع الذي أفرد له الدوسري بقية هذا الفصل إذ يقول: بداية استطاع أمل أن يحوّل القصيدة إلى همّ عام من الغناء إلى الدراما، من الفوق إلى أولئك الذين تحت.. من البساطة إلى التركيب إضافة إلى جماليات القصيدة العربية، يستشهد الدوسري برؤية الدكتور جابر عصفور عن خصوصية أمل دنقل التي تتلخص في قوله: إن الخصوصية التي انفرد بها أمل هي إلحاحه على التراث العربي؛ لا لتأكيد الهويّة القومية بالمعنى الساذج وإنّما يحاول أن يستخرج من وجدان القارئ العربي كل العناصر المرتبطة بذكريات المجد العربي القديم لإعادتها مرة أخرى.

رؤيتـــه

ينتقل الدوسري إلى الحديث عن الرؤية الخاصة بالشاعر أمل دنقل حيث يفكّها إلى أجزائها وعناصرها، لتصبح في النهاية زوايا عدة للنظر ومنطلقات متعددة، هي التي انطلق منها الشاعر وأنتجت نصه، المبحث الأول وحديث عن الإنسان في العالم الشعري الذي عاشه أمل دنقل وتحقيق الإنسانية فيه عبر عدة قصائد استشهد بها المؤلف حتى يصل إلى التحديد العام في هذا العالم وهو المجتمع، فأمل دنقل كسائر الشباب العربي من حيث الريف مصدر علاقاته ونظمه وأعرافه وتقاليده تكتمل الرؤية بعنصرها الثالث، وهو السلطة، والموقف الشعري المبدئي لأمل دنقل حيث إن المشروع الدنقلي في العهد الآتي هو قهره للسلبي وانتصاره على قوى الشر المضادة للإنسان، هذه القوى تتجلى عبر عدة مستويات في التجربة الشعرية، فهي المرابي وهي الإقطاعي الجديد، وهي أغنياء الحرب وهي في تارة أخرى المصفقون.

ولعل الرؤية هذه والتي شملت الإنسان والمجتمع والسلطة قد أوجدت لدى أمل دنقل وجيله نوعًا من التمرد الذي اتضح عبر الرؤية العامة، أمل دنقل شاعر أراد أن يصل إلى الحقيقة قد تجرد نهائيًا من كل الآراء الشائعة التي تربي عليها وتلقّاها من محيطه، وأعاد بناء أفكاره بشكل جذري من الأساس.

وقد اعتمد على مبدأ الشك كمنهج دفعه إلى رفض السائد وفي أحيان كثيرة معاداته معاداة صارخة، وظل يقينه الوحيد هو الأمة وهو يقين يزداد رسوخًا كلما أوغلت تجربته الإنسانية في عوالمها الشعرية.

وهكذا تشكلت الرؤية عند الشاعر أمل دنقل أو مكوناتها الأساسية الفاعلة، وعناصرها الرئيسة، فهي تستمد من الشعر تكثيفه ومن العالم شموليته، ومن الإنسان نقطة محورها.

المضمون

المضمون الذي شكّل هذا العالم الدنقلي لم يكن هكذا من فراغ روحي ربما يدعيه البعض لأمل دنقل، فالمضامين الأربعة التي حددها أحمد الدوسري في عالم أمل دنقل وكيانه هي: الحرية والوطن والمرأة والزمن- الموت.

فأمل دنقل مغرم بتحطيم مؤسسة السلطة إذ يقول الدكتور إحسان عباس، إن الالتزام هو الجانب الإيجابي من علاقة متبادلة بين الشاعر والمجتمع، وهي ليست علاقة أخذ وعطاء، ولا علاقة تطابق، والوطن الذي اختار أمل البقاء في وطنه على الهجرة إلى الخارج إلى المنفى، المنفى الذي امتص شعراء كبارًا ونثرهم بين شوارعه ومقاهيه، يقول أمل دنقل فضلت البقاء في مصر، وهذا منحني بعدًا لم يتح لغيري، وهو بعد الالتصاق بالواقع كما هو.

أما المرأة، فقد شكّلت كمضمون ارتباطًا بقضايا التحرر الاجتماعي لاسيما في العصر الحديث. في بواكيره رسم الشاعر صورة للمرأة غلب عليها الطابع الرومانسي متأثرًا في ذلك بشعراء المهجر وبالياس أبي شبكة، وتأثر كثيرًا بالسّياب في رومانسيته.

الزمن- الموت: مضمون شعري خصب في قصيدة أمل، حيث تصبح الصورة الشعرية محاولة استثنائية للقبض على الزمن متجليًا ذلك في تخصيب مفردات زمانية مكانية.. غاية في التباعد؛ بغية قهره وجعله متداخلاً وهو الذي يسير في خط مستقيم إذ يمكن العودة به إلى الوراء أو جعله في قبضتنا الحاضرة أو إطلاقه بسرعة شاذة إلى الأمام.

أدواتـــه

الفصل الرابع: الأداة، وكشف آخر للدوسري، لأعماق قصيدة أمل دنقل لاستشفاف الأداة التي يستخدمها في شعره، الصورة الشعرية

كجزء من هذه الأداة والتي وظّفها أمل دنقل كحلم إنساني، ليجسد ماديًا الكيانات العدمية فضلاً عن رؤيته الشعرية مجسَّدة، وفلسفته في النظر إلى الأشياء والعالم والكون وصورة أمل دنقل الشعرية متشعبة وواسعة فهي خياليّة يوميّة تراثيّة تنقسم إلى: سريالية الخيال، يومية الواقع تستقي إسقاطاتها من الذاكرة والمجتمع، وتراثية تستقي إسقاطاتها من: الإنجيل والقرآن والسير، والحكايات الشعبية، والمأثورات الشعرية والنثرية، ينطلق الإيقاع- كجزء من الأداة الشعرية في قصيدة أمل دنقل من نقطة ليعود إليها ثانية آخذًا في دورته التصاعدية ثم التراجعية أشكالاً عدة من النمو: منها الأفقي ومنها الرأسي، ومنها المركب بالغ التعقيد لتتشكل بنية إيقاعية درامية تتراءى حينًا آخر. إنّها البديل الذي يطرحه الشاعر للعناصر غير المنتظمة في العالم ثم يضع تساؤلاً حول تأثر أو اقتباس أو سرقة الشاعر محمود درويش لإحدى قصائد أمل دنقل ثم انتقال تدريجي في الحديث ضمن الأداة عن لغة أمل الشعرية، والبناء الفني، والملحمية في قصيدته.

سار المؤلف في دراسته النقدية الأكاديمية هذه في حقل شعري خصب التربة غزير الثمار، هو حقل أمل دنقل الشعري ليعتبره شاعرًا على خطوط النار بعد أن غاص في معالم الكيان النفسي والاجتماعي والشعري لهذا الشاعر الذي اختار أن يظل صعلوكًا متمردًا حتى وفاته في عام 1983. أما مؤلف الكتاب فهو الشاعر أحمد الدوسري الحاصل على ليسانس الآداب من جامعة الكويت والذي نال درجة الماجستير عن دراسته هذه. له ديوان تحت الطبع، وروايتان، ومسرحية بعنوان : قتل في شرفة الرئاسة.

أمل دنقل.. حروفه سيوف ضد القهر

حلمي سالم(*)

لقد آن الأوان حقًا لكي نقول للنقاد: إنّ الشعراء الرواد أخذوا ما يكفي من الاهتمام والدراسة والبحث، وهذا لا يعني إهمالهم أو إهمال دورهم في الريادة.. غير أننا ندعو إلى إعادة جدولة جهودنا، وأن نلتفت إلى الأجيال الشعرية الأخرى، فهي لا تقل عطاء، وبعضها دفع القصيدة العربية إلى فضاءات بعيدة ورحبة في الوقت نفسه، لم تتسن للرواد، هكذا بدأ الناقد والشاعر أحمد الدوسري كتابه، «أمل دنقل شاعر على خطوط النار» الذي صدر مؤخرًا عن دار الغد بالقاهرة.

وبغض النظر عما إذا كان الرواد قد أخذوا حقّهم - فعلاً- أو لم يأخذوه، فالشعراء الكبار يظلون منبعًا لا ينضب للنقد والتقويم وإعادة الكشف والتقديم.. فإن الذي لاشك فيه أن كثيرًا من شعراء الأجيال التالية لجيل الرواد لم يأخذوا حقهم المستحق من النقد والكشف والتقديم.. وبينهم من أضفى على مسيرة الشعر العربي بصمات بارزة، وعلى رأس هؤلاء الشعراء: الشاعر أمل دنقل.

وهذا ما يوضحه الناقد، حين يقرر أنه اختار أمل دنقل لأنه ظُلِم مرتين، مرة لأنه لم يكن من جيل الرواد، ذلك الجيل المحظوظ والمستأثر بكل الشهرة والدراسة والنقد، ومرة ثانية؛ لأن أجهزة الإعلام المصرية والعربية - آنذاك - منعت تداوله أو النشر له عدا استثناءات قليلة، فآثر النقاد الصمت تجاهه متخوفين.

(*) شاعر مصري.

سيرة المسافة المشتعلة.

بين 21 يوليو 1940 و21 مايو 1983 ثلاثة وأربعون عامًا قضاها محمد أمل فهيم أبو القاسم محارب دنقل بين قرية القلعة في صعيد مصر وشارع القاهرة المنهكة، وبين يوم ميلاده ويوم وفاته في المعهد القومي للأورام مسافة من الألم الحاد ملأها الجسد الناحل بالضوء، أمدته بالبركان وأصابها بالشعر، شأنه شأن أولئك الذين عمروا طويلاً في الزمن، وقصرت حياتهم بالسنوات، صخبوا حتى آخر نقطة ضوء في أجسادهم، فكأنما عاشوا قرونًا طويلة، وما عاشوا غير سنوات قليلة.

لرصد هذه المسافة المشتعلة بين الحياة والموت خصص الناقد فصله الأول للسيرة، سيرة أمل دنقل بدءًا بالمولد مرورًا بالصبا في كنف الوالد المعمم الأزهري الذي حفلت مكتبته بالدواوين الشعرية، وكتب الأدب، ثم رحيله إلى القاهرة - بعد حصوله على الشهادة الثانوية - مع والده الذي يذكر لنا الكاتب أن شاعرنا لم يكن منسجمًا في السنوات العشر الأولى من عمره مع نظام وترتيب والده فكلما زاد الطفل في تمرده وشيطنته؛ زاد الأب في قسوته.

تمرد الابن على أبيه، ولعل ذلك كان أول صور التمرد على سلطة الأب التي تعددت تجلياتها فيما بعد، فكان التمرد على سلطة الأب الشعري في كتابة شعر يتمرد على الناموس الشعري المستتب النعومة والانسياب والعاطفية والتوافق؛ لينتمي هو إلى تحطيم المستتب، ويذهب إلى الخشونة والنتوء والتنافر والتضاد وكان التمرد على سلطة الأب السياسي في ذلك الوقت في اتخاذ موقف معارض للسلطة، غير مندرج في إهابها، وغير منضو في مؤسساتها ومعتقداتها الأيديولوجية والفكرية.

في هذه السيرة يشير الدوسري إلى واقعة كان لها تأثير بالغ في

صبا أمل دنقل هي: موت أخته الصغرى، إذ كانت حدثًا أليمًا لم تستوعبه وتدرك كنهه مخيلة الطفل الأسمر الناحل، غير أنه سيبقى منقوشًا في ذاكرته حتى رقدته الأخيرة في المستشفى قبل وفاته، وقد أثبت هذه الواقعة شعرًا فيما بعد بديوانه أوراق الغرفة 8 الذي كتبت معظم قصائده على فراش المرض.

اتذكر
أختي الصغيرة ذات الربيعين
لا اتذكر حتى الطريق إلى قبرها المنطمس.

وتصل السيرة إلى صداقته الوطيدة برجلين من أبناء بلده سيكون لهما كذلك شأن في الحياة الأدبية المصرية والعربية، عبدالرحمن الأبنودي ويحيي الطاهر عبدالله، ويرحل إلى القاهرة 1958، وتستمر السيرة المشاكسة الملتهبة، فلنتركها الآن لننظر في شعره من منظور الناقد أحمد الدوسري.

يعرض الفصل الثاني «رؤية» أمل دنقل في شعره لنجد هذه الرؤية تتوزع بين الإنسان والمجتمع والسلطة والتمرد فيشير الناقد إلى الاغتراب الذي يعانيه إنسان أمل دنقل وإلى تناقضات المجتمع الذي يصوره الشاعر وإلى البعد الوطني في شعره فلقد أثقلت أمل الحالة الوطنية وما تتطلبه من فعل سياسي شمولي يُحدث حركة المتغيرات التي من شأنها صياغة البرنامج المتجانس لسائر الشعب، والاندفاع به إلى الاتجاهات المثمرة، فكان حسه الوطني يحتل مرتكز إنسانيته المتقدمة.

وهذا هو ما أشار إليه الناقد جهاد فاضل بقوله: كان أمل دنقل شاعرًا وطنيًا ولكن وطنيته لم تكن على حساب فنيته وإن كانت هذه الفكرة تحتاج مراجعة، ومن جدل الإنسان والمجتمع والوطن، كان الحب والحرية عنصرين أساسيين في تكوين رؤية دنقل.

حاء.. باء

حاء.. راء.. ياء.. هاء

الحرف السيف..

صوت المغبونين

هذا «الحـرف السـيف» هـو مـا سـعى أمل دنقل دائمًـا إلى امـتـلاكـه وشـحن شـعـره ومـوقـفـه بـه، ومن أجل هـذا الحـرف السـيف خسـر دنقل الكثيـر، خسر التواؤم مع مجتمعه، والتكيف مع القيم القديمة، كما خسر الالتئام مع السلطة، سواء كانت السلطة سياسية أو اجتماعية أو شعرية، وكان قبل ذلك كله قد خسـر عائلته الثرية وخسـر في أثناء ذلك جميعه قدرًا من العلو الفني الجمالي.

لكنه كسـب هذا الحـرف السـيف الرؤية القـاطعـة والموقف الناصع، ضمير الجماعة، التأثير في قطاعات واسعة من الشباب والقراء.

على أن أخطر ما كسبه الشاعر هو: أن يكون صوت الفقراء المحاربين ضحايا كل قهر، المنسيين من كل عدل.

وها أنا في ساعة الطعان.

ساعة أن تخاذل الكماة والرماة والفرسان.

دعيت للميدان.

أنا الذي ما ذقت لحم الضان.

أنا الذي لا حول لي أو شأن.

أنا الذي أُقصيتُ عن مجالس الفتيان.

أُدعى إلى الموت..

ولم أُدع إلى المجالسة

تجليات المرأة

تنوعت صور المرأة في شعر دنقل - كما يذكر الفصل الثالث - عبر المراحل الفنية التي مر بها، غلبت على هذه الصورة الملامح الرومانسية في البداية سلبية وصفية، ثم تصبح الصورة واقعية، بنت الهوى، الجسد المبصرة، الأم، الوطن:

رفعت أمه الطيبة
عينها
نهضت.. نسفت مكتبه
دفعته كعوب البنادق في المركبة

تشكيل الرؤية

كيف صاغ أمل دنقل هذه الرؤى والمواقف الحادة في تشكيلات فنية؟ يجيب الفصل الرابع الأداة عن هذا السؤال؛ فيعرض للصورة الشعرية من خلال تقسيمها إلى: الخيال سريالي وواقعي، الحياة اليومية، الذاكرة الطفولة، حركة المجتمع، والتراث: «القرآن»، الإنجيل، السيّر والحكايات والمأثورات الشعبية.

ومن أبرز نماذج الصورة الشعرية المركبة:

عيناك: لحظتا شروق.
ارشف قهوتي الصباحية من بُنّهما المحروق
واقرا الطالع.
وفي سكون المغرب الوادع.
عيناك - يا حبيبتي- شُجيْرتا برقوق
تجلس في ظلهما الشمس.
وترفو ثوبها المفتوق

ويعرض للإيقاع وأشكال نموه المختلفة.. دورة تصاعدية وتراجعية، ونمو أفقي ورأسي ومركب.

وكل ذلك يخلق بنية إيقاعية درامية تتراءى حيناً.. إنها كل النص، وتتراءى حيناً آخر: إنّها البديل الذي يطرحه الشاعر للعناصر غير المنتظمة في العالم.

ويختم الناقد بالتعرّض للغة: حيث البساطة المدهشة، واستنطاق الحروف وتفجير طاقاتها الصوتية، والحوار اللغوي والتنافر والتضاد والمفارقة والسرد، وكسر التوقع، والجمل الاعتراضية.

توقفني المرأة في استنادها المثير
على عمود الضوء
كانت ملصقات الفتح والجبهة،
تملأ خلف ظهرها العمود
تسألني لفافة.

" الظلام من الشمال "
بانوراما داخلية لحرب الخليج

د. محسن الرملي (*)

مثل كل الأحداث المهمة والمؤثرة على مجرى التاريخ تم تناول حرب الخليج في مختلف أجناس الفنون: السينما، المسرح، الرسم، الموسيقى، والآداب التي كان للشعر فيها النصيب الأكبر، فيما طرحت الرواية نماذج يسهل حصرها حتى الآن، ومن الطبيعي أن تكون غالبية هذه الروايات مكتوبة من قبل الأدباء المتأثرين بالحرب مباشرة في العراق والكويت الذين تناولوا الحدث من داخله، فيما عرضها الأدباء العرب والأجانب من الخارج بنسبة تأثرهم بها واعتمادًا على ما توافر لديهم من معلومات، مثال ذلك: البريطاني فريدريك فورست في روايته «القبضة الإلهية» التي نشرها سنة 1994 وحققت مبيعات عالية - كانت هي هدفه - عبر استثماره لموضوع حرب الخليج وتناوله لها بصيغة روايات التشويق البوليسية؛ حيث تكثر شخصيات الجواسيس والرؤساء والوزراء والقتلة وتجار السلاح، حتى يصل حجم الرواية إلى أكثر من 600 صفحة، تطغى على عمله بيئة المكاتب السرية والتعقيدات السياسية وانتقالات العملاء بين البلدان، وتغيب التفصيلات حول أوجاع الناس البسطاء والجنود والذكريات، تلك التي وصفتها مجمل القصص والروايات العراقية الأخيرة. أما في الكويت فإن رواية «الظلام من الشمال» للشاعر أحمد

(*) قاص وروائي عراقي مقيم في إسبانيا.

الدوسري فتعد أهم عمل أدبي كويتي- حتى الآن - عن هذه الحرب التي خربت البلاد، حيث كان لتجربة الدوسري الشخصية ومعايشته للحدث ومعرفته الدقيقة بالبلدين، وتعرضه للمساءلات والسجون اثر كبير على إنتاج هذه الرواية المكتظة بالتفاصيل والمشحونة بالآلام، فيصوّر الطرف الثالث وهو: المواطن البسيط الذي تمثله شخصية خالد سالم الناصر، السجين رقم (11)، آه من حصار الجدران، عاصفة تتآكل ببطء. رواية الدوسري لا تقص علينا حكاية من ميدان القتال، كما قد يتبادر للبعض وإنما ترسم لنا مشهدًا واسعًا عبر هذيان صادق لمواطن سجين تحت الأرض يسحقه ظلم القوى المتصارعة، الدائر بطغيانه فوق رأسه وعلى حسابه بلا رحمة. فلا يعتمد البناء السردي في هذه الرواية على هيكل حكائي محدد، وإنما يتخذ من حادث الحرب مناخًا له يتم تشييده على ثلاثة أعمدة رئيسة وهي: شخصية السيد الرئيس وشخصية عبد السطيح الأحد كطرف مناظر، وبينهما شخصية الراوي الذي يدفع ثمن هذا الصراع والجنون، ولا يرسم الدوسري بلدانه بحدود وخرائط ومسميات إدارية سائدة وإنما يجسّد بلده عبر الذكريات التي تجعل منه وجودًا حيًا له كيانه وماضيه وخصوصية مكوناته؛ لأن الوطن ذاكرة ممتدة الحياة يدافع عن وجودها بما يقدمه عنها من تاريخية وخصائص متميزة، فيقدم بدل الوثائق والأرقام صورًا للبحر والشمس والرمل والإنسان في شخصياته الشعبية، الجدة حصّة، الجد ناصر، الأم عائشة الأب سالم، المصور بدر السوري، وعبود المجنون، والمفاهيم التراثية الخاصة حيث نجم البحر منفي مطرود من سقيفة السماء لأنه سرق خصلة من أشعة الشمس أراد أن يهديها للقمر فوشت به النجوم وعاقبته الشمس، ألقته في دياجير البحر؛ كي يموت لكن العوعو اشتغل بصناعة السلال وصادق البحارة، والطنطل الذي هام حبًا بالخنفساء أم زيد وتدخل المطر.. ص 38.

إن غنى الحدث - حرب الخليج - الذي اتخذته الرواية ميدانًا لها يقود السرد لصفحات طويلة من الانثيالات التي يستسلم لها الروائي بحيث إن تصويره لجانب أو شخصية يستغرقه حد نسيان الجوانب والشخصيات الأخرى ولم يسع لإيجاد روابط بينها، فتبدو الرواية وكأنها تداخل مقاطع لثلاث روايات مستقلة، لكل منها شخصيته الرئيسة وذاكرته الخاصة المختلفة فمثلاً شخصية السيد الرئيس تأخذ صفحات متتالية وتتقطع لتعود في صفحات متتالية أخرى من البداية - إلى ص 29/ من 52 - 73/ من 99 - 110 وهكذا، شخصية عبدالسطيح الأحد من 73- 99/ من 160-405 الفصل الرابع بأكمله، ولا تتداخل الكتابة عن هذه الشخصيات إلا في صفحات قليلة مثلما جاء من 114-118 وهذه التقنية لها أضرارها ومبرراتها في الوقت نفسه، ذلك: أنها أدت إلى إضعاف الخيط السردي وإضعاف بلورة وحدة الرواية وتماسكها، أما ما يمكن به تبرير ذلك فهو اختيار تناول حدث واحد من وجهات نظر عدة شخصيات فاعلة أو متأثرة به وبالطبع هذا ما استخدمه الكثير من الكُتّاب وكان رائدهم فيه وليم فوكنر في الصخب والعنف إلا أن الحلقة المفقودة في «الظلام من الشمال» هي غياب التقاطعات المباشرة لجميع هذه الأطراف المتباينة بحيث يصبح تقبّلها الفني معقولاً وتنسيق إيقاع التناول الذي يشذب نشوز هذا التفكك، وهكذا فإنّ هذه الرواية يمكن قراءتها من أية صفحة شئت لأنها أشبه ببانوراما داخلية واسعة. لهذا فهي رواية لا تحاول أن تؤدلج ما حدث ولكنها تصف وترسم وتشكو وتؤرخ لعذابات إنسان هذا الحدث وهذه المرحلة.

قد يبدو للبعض أن وصف الدكتاتورية في «الظلام من الشمال» هو تقليد لما أنتجته الواقعية السحرية حول هذا الموضوع في أمريكا اللاتينية، إلا أن الدوسري، كان يتحدث عن حقائق لا مبالغة فيها، وإن صعب تصديقها ممن هم بعيدون عنها، إنه يجسد لنا شخصية السيد

الرئيس الدكتاتور ويحلل لنا نفسيتها بفك الكثير من الألغاز التي تفسر سلوكها الذي يكتنفه الغموض عند الكثيرين إذا ما أريد فهمه ظاهرًا وفق المنطق السائد للتصرف أو العلاقات فيما بينها واستبيان جذورها حتى يكتمل المشهد بقطع شوط كبير في توضيح تركيبة هذه الشخصية بالغة التعقيد والعتمة والمرض، يستحضر الظروف والعناصر التي أثّرت في تكوينها منذ الطفولة، وحتى الوصول إلى عزلتها الحالية المطوعة بشعاراتها المصوغة بشكل معادل لخلاصات ما وصلت إليه: النسور لا تشبع، ويحيا القائد الملهم، الضمير قنبلة موقوته داخل الضعفاء فقط، وأمسكت برقبة السلطة؛ لأنني رجل لا يحزن ولتأت الشهرة، إنها كل شيء في حياتي. أتمنّى أن أنقع في حوض من ماء الشهوة، أنها اللذة التي تجددني رئيسًا إلى الأبد، وينام واقفًا على قدم واحدة، ومسدس واحد، خشية السقوط، متحسسًا على الدوام مسدسه الذي لا يصدأ.. وهو ينظر إلى تعدداته في المرايا. يسوق الكثير جدًا من الأحداث المتعلقة بهذه الشخصية على صعيدها الخاص وانعكاساتها على صعيد تسيير الدولة والأحداث الكبرى، ولم يكن قد سر أحدًا سوى زوج ابنته بحريه الجديدة، وهو ذو ثلاثين عامًا من صلة القرابة وبرتبة لواء، قيل إنّه كان وقتها عرّيفًا في شرطة مرور قرية نائية وذلك قبل أن يتسنّى له ولوج شرف الرئيس.. يحتفظ بثلاث حقائب وزارية في مؤخرة سيارته المرسيدس المصفحة ضد الرصاص والعيون، فضلاً عن الحقيبة الرابعة التي تنتظره كل مساء في المنزل الرئاسي، لأن الرئيس الذي لم يره أحد البتّه- منذ عشرات السنين- بغير بدلته الكاكي والمسدس من كل طراز مدلّى من خصره تعبيرًا عن الوطن، كان مصممًا على أن يكون بلا موت... وكلما شغرت إحدى الحقائب الوزارية بفعل الاغتيال تم اسناد الحقيبة إلى اللواء اللغز. لم يكن بمقدور أحد الخروج من حقيبته حيًا، لقد شاهدوه وهو يحمل على صدره منضدة مليئة بالنياشين والأوسمة..

آخر قتلاه الكبار جدًا، والذي كان يقطن على مبعدة إصبع من دمه، كان وزير دفاعه، وشقيق زوجته، وابن خاله المفترض.. ص 124.

حتى يصل الأمر إلى وصف البلاد على لسان مثقف عاش عهد الدكتاتور، النهران اللذان يمخران البلاد، عكازان للموت، أمّا البحر فتابوت مجاني لمخلفات الحرب من الجثث والأحلام، هجرته النوارس إلى الأعالي.. لا أحد عرضة للفرح، قال مثقف خرج للتو من بدلته العسكرية وأضاف: أكلت الثورات الوطن، يتعلم الصبية القراءة وكيفية ارتداء البدلة العسكرية، ويحيا الرئيس، آه.. الوطن على طريقتهم بدا مرهقًا في أخرياته.. سطوح المنازل ترفرف بالأسود، دلائل نعوش قدمت. ص 24.

بل إن الدوسري لم يسع للعشوية المجاني رغم حقّه في أن ينحاز لقضية بلده، ولكنه كان متوجهًا للبلدين اللذين أحبهما فكان يخاطبهما معا بـ «الوطن» وموضوعيًا في إداناته للأنظمة والسياسات وأنصف الناس بمن فيهم المثقفين حيث ذكر محاولة المثقف العراقي للتغيير ودفعه ثمن ذلك باهظًا حين هتف بالموت للدكتاتورية «الموت لك.. سيدي» ولم يعرف أحد لماذا قرر الروائي حسن مطلك أن يموت، بعد أن ظل ثلاثين عامًا في عتمة الرعب، كانت الجنازة خاوية من التحيات والأيدي، اكتفى أصدقاؤه بالشرب حتى الانفجار، في حالات متعددة في البلاد، يكفي أن يجرؤ المرء مرة واحدة لكي ينسى إلى الأبد ما يدور في الوطن وذلك ما لم يحدث بالضبط وفي المقاييس ذاتها، مع قاص آخر، أغضب ناقدًا حزبيًا يُعد من ألمع نقاد الدولة، إذ إنه- أي القاص - مات بعد ذلك بتهمة شتم السيد الرئيس. ص 24.

كما يشخص الدوسري عيوبًا في وطنه ويتفقدها بمرارة: لو قصصنا كل ما هو فاسد لتوجّب علينا أن نجتث الوطن. ص 56.

وفي صفحة قبلها يسأل: من أين جاءت الحكومة؟ ص 58. وبعد

وصف ساخر لصورة التحكم بالوطن يتوجّه صراخ عبدالسطيح الأحد «الذي يحمل اسمه دلالته الواضحة عن قصد»: «أنا الدولة» ص 96.

إنّ الدوسري يبكي وطنه بحزن شديد، وهو يدوّن الكثير من التشوهات التي زرعت فيه منذ بداية تكوينه حتى تمخضت عن الكارثة: وغير الحزن مقعده من درجة الخارج إلى درجة القلب، كان الموت يستحيل إلى شجرة كبيرة تعرش مثل سقيفة فوق الوطن الذي بدأ يميل إلى الأباطيل في حل قضاياه المصيرية بفعل أعراض الدكتاتورية التي بدأت تصيبه منذ أزمنة سابقة، كانت بذورها ترجع إلى الوراء منذ أن قامت الإرسالية الأمريكية للتبشير.. ص 172.

أصبح صلب الرجال عادة رسمية وأمرًا متممًا للبقاء على كرسي الوطن الذي تم جلبه على متن الناقلة البريطانية نيوبريدج.. وكان الكرسي هدية رمزية من التاج لدار المعتمدية البريطانية السامية في البلاد. ص197 - 1998.

في هذه الرواية نجد أيضًا شخصية أخرى هي: المصور بدر السوري، والتي يمكن اعتبارها كممثل عن الشخصية العربية غير العراقية أو الكويتية التي اكتفت بالمشاهدة والتفرج والتصوير، ولم يكن لها دور حقيقي في حل المشكلة والنزاع.

إن أحمد الدوسري في هذه الرواية يلفظ الفيض الجياش في ذاكرته ليسرد مسيرة شائكة مؤلمة، يرهقه حملها فيطلق لذاكرته العنان فاتحًا لها أبواب البوح على اتساعها، وإن وهنت قليلاً يستحثها على النطق: كي يقول كل شيء، كي يبث ويشكو، عله يبرأ والذاكرة عاهرة لا تنطق قبل أن ترفع فخذيها. ص 105.

إنّه يريد قول كل شيء في صرخة قوية يبث فيها كل أوجاعه بتاريخها وعمل كهذا يذكرنا بعملين أدبيين آخرين حاولا قول كل شيء، وإطلاق صرخة عالية جامعة، وهما لكاتبين مجايلين للدوسري وأصدقاء

له، العمل الأول: هو رواية «دابادا» لحسن مطلك الذي أراد رواية عذابات ملحمة الوجود في صرخة واحدة هي، «داباداً»، والعمل الثاني: هو قصيدة نشيد أوروك لعدنان الصائغ الذي أراد روي التاريخ العراقي بدمه المراق منذ حضاراته وخراباته الأولى حتى اليوم.. أعمال كهذه تؤشر لنا ظاهرة مهمة في الأدب العربي؛ لما فيها من جهد كبير في محاولة تمثل الذات ورسم الرؤية.. ولما فيها من إبداع فني ولغة شديدة التكثيف.. غنية بالدلالات وجميلة في الصوغ والبيان.. فاللغة في رواية «الظلام من الشمال» شعرية، غنية وتكاد تكون أفضل العناصر الفنية في هذا العمل، حيث تمتزج الصورة بالحوار وبالاستعارة وبالمجاز، وبالرمز، بالوجع والشتيمة والسخرية، لغة نازفة متمكنة في أكثر مواطنها وتصل -أحياناً- في شعريتها إلى حد الغناء.. إنَّ متعة لغة هذه الرواية - بحد ذاتها - كافية لإيصال الإحساس وشد القارئ على المواصلة لأنه سيجد في كل جملة عذوبتها الخاصة والتي ستقوده بدورها إلى عذوبة الجملة الأخرى، حتى ينتهي إلى أن هذه الرواية بمجملها أشبه بقصيدة نثر عريضة - وقد تسبب هذا الانثيال المتدفق بتوحيد إيقاع السرد ولغته دون أن يتم تنويعه وفق كل شخصية، ليكون لكل واحدة منها لغتها وإيقاعها الخاص الذي سيساعد على إراحة القارئ بالتنويع وعدم تركه مشدوداً مع ارتفاع الصرخة حتى النهاية على نفس واحد.. كل الجمل معبأة كثيفة وشعرية حيث تصل اللغة إلى الذروة التي هي الصمت وذلك مع.. ارتفاع حدة التعذيب والألم الذي يجتاح الراوي الروائي إلى الحد الذي يشعر معه بعجز اللغة عن وصف الشعور فيقول:

يصبح الشعور..!؟...!؟ نقاط وفراغات وعلامات استفهام.. تلك اللحظة/ الصرخة التي نحت لها: حسن مطلك مفردة «دابادا» التي لا وجود لها في اللغة ولكنها مزيج من حروف كلماتها.. اللغة في هذا

النص: انثيال متدفق يلاحق مختلف الصور وأجزاء الصور كي يكمل المشهد مترشحًا عبر ذات الكاتب بتجربته ومرارته الداخلية: أين الحمى إذن؟ إنها في الداخل يا أمي، في أعماقي. ص 247.

ولأن الرواية تتحدث عن جرح كبير فإن نهايتها تكون بظهور ممرضة جميلة، تأكيدًا لدوام وجود الألم يصاحبه الأمل بالشفاء على يد امرأة، فعلى امتداد الرواية كانت المرأة مبرأة من هذا الحدث الشاذ- الحرب- وشخصيات كالجدة والأم أكثر الشواهد دلالة على البيت والوطن والحياة، فالمرأة عند الدوسري هي: الطمأنينة والحياة والأمل، وبالتالي فهي المنقذ والنقيض لما دون ذلك - إنها كائن يقترب من الخرافة؛ لواقعيته المضادة للواقع المشوه الذي تفرضه الحرب، فهي الحب الذي لا ينسجم مع الحرب ولهذا: فعندما تبدأ الحرب بتقاعس الحب، تشل القنابل حلم الرجل في امرأة، تتعطل الرسائل الغرامية، وتكثر بدلاً عنها رسائل قادة الحرب إلى الجبهات الأمامية، يصبح تناول دبابة أسهل بكثير من تقبيل شفتين، تكف المرأة عن الخروج إلى الشوارع، يكف الرجال عن الحالة الاستثنائية غير المجدية، السلم ومن لف لفّه، يستأنف عمله الأصلي: الحرب وتوابعها، ينتج عند ذلك نقص حاد في المرأة. ص 247. ولذلك نجد بأن ما جاء عن المرأة في الصفحات الأخيرة، يمكن نقله إلى البداية ليكون مفتتحًا للرواية، ولكن ما دامت الحالة هكذا فيمكن اعتباره- هنا- حافة الإطار من طرف اللوحة الأخير، يقابله- لاستكمال الإطار- الإهداء في الصفحة الأولى وهو إلى امرأة يصفها بأنها قد أعادته إلى الحياة ليستقبل الصباح والأشجار والعصافير زوجته وهو تمام الدور الذي قامت به الممرضة في خاتمة الرواية، ليفيق من حمى مرضه وهذيان ذاكرته على صوتها وهي تقول: «صباح الخير» مرتدية الأبيض تاركة ابتسامة لذيذة في موقعها قرب ساعدي الأيمن.. فتكون المرأة الساعد الأيمن، وابتسامتها دعوة للحياة والتعجيل بشفاء

الجراح وبث القوة من جديد في ساعد الرجل.

الظلام من الشمال هي الرواية الأولى للشاعر أحمد الدوسري؛ ولذلك يبدو فيها بجلاء سيادة نفس العمل الشعري، وهكذا قد يصبح هذا النص عصيًا على التصنيف إذا ما تمت محاولة البحث فيه عن العناصر التقليدية للرواية، مثلما يصعب إخراجه عن دائرة الجنس الأدبي الروائي، وذلك لما أصبح عليه هذا الجنس من اتساع ولما أتاحه تاريخ الرواية الطويل وتجاربها من فتح آفاق حرة لا حدود لها، وهنا ستكمن الإشكالية التي سيواجهها هذا النص عند تلقيه باسم الرواية، إلا أن ذلك يمكن تأويله، كأحد أسرار قوة هذا النص لما يشكله من مغامرة ارتياد مناطق جديدة يفترض النظر إليها كإضافة - ولو نسبية - إلى تجارب الحقل الروائي، ودعمًا لدفاعاته عن نفسه عبر تبيان إمكانياته على الاحتواء والإتيان والانفتاح والتقبل الدائم، واللياقة التي تؤهله للديمومة، وتصاعد النضج والعطاء.

حيـــاة..
في مواجهة الزمن والمرض وأعداء الوطن

محيى الدين اللاذقاني(*)

تكثر الكتب والدراسات والمقالات المتمحورة على المبدعين، وبخاصة الراحلين منهم، أما إذا كان الراحل شابًا أو شهيدًا، فالكتابات عنه تتضاعف خصوصًا إذا اتّسم نتاجه بالإبداع، وعادة لا تخلو كمية الكتابات الضخمة من نوعية قليلة مصاغة بمنهج نقدي علمي، فهل ينتمي كتاب أحمد الدوسري «أمل دنقل.. شاعر على خطوط النار» إلى الفئة الثانية من سيل الكتابات التي تناولت الشاعر الشاب الراحل أمل دنقل.

المقدمة تبشر بأن الكتاب لابد أن يكون غنيًا بالمعلومات وعادلاً في الأحكام ودقيقًا في الاستنتاجات، أو لم تكن الدراسة في الأساس رسالة لنيل شهادة الماجستير، نال عليها المؤلف درجة الامتياز؟ ذلك أن الدراسات الجامعية التي تتميز عادة باللغة العلمية الجافة، تمتاز بالمضمون الموضوعي في الوقت نفسه ولكن دارس الشاعر هو شاعر أيضًا، فهل أثّرت شاعريته سلبًا على مضمون الكتاب؟ أم أن تأثيرها كان إيجابيًا، بحيث حولت جفاف الأسلوب الأكاديمي ومفرداته إلى لغة جذابة؟ يتوزع مضمون الكتاب على أربعة فصول، إضافة إلى المقدمة والخاتمة، يتناول الفصل الأول سيرة أمل دنقل وينابيعه الثقافية وأدبه، وموقف النقد منه. ويتمحور الفصل الثاني على: الإنسان والمجتمع

(*) شاعر وناقد سوري.

والسلطة، ويعالج الفصل الثالث: الحرية والوطن والمرأة، والزمن، الموت، أما الفصل الرابع والأخير: فيدرس ويحدد، الإيقاع واللغة والبناء الفني والملحمية.

يتوقف الباحث في سياق الفصل الأول أمام قصيدة أمل التي رثى فيها الكاتب الراحل يوسف السباعي، هذه القصيدة تشكل ثغرة في مسيرة أمل الوطنية، فهي لم تكتف بتعداد مأثر الكاتب الذي اغتاله فلسطينيان بل إنها تضمنت هجومًا على الفلسطينيين اللذين قاما باغتياله. ص 56.

مولود مسخ

لو لم يتبع الباحث منهجًا نقديًا، لكان قفز من فوق هذه القصيدة أو نفى نظم أمل لها كما فعل بعض دارسيه، خصوصًا وأنها لم تحتل أيًا من دواوينه ولكنه تناولها في الصفحتين 56 و57 مؤكدًا حقيقتها ومشيرًا إلى أن ناظمها قد أسقطها من تجربته الشعرية؛ لأنها مولود مسخ قياسًا لسائر نتاجه الشعري وخصوصًا لحياته الوطنية التي وردت تفاصيلها في سيرته، وقد صنفته واحدًا من شعراء العالم العربي القلائل الذين أصرُّوا على الالتزام الحياتي والأدبي بصورة مثالية ودائمة، أمّا عدم العثور على القصيدة بعد رحيل أمل، من أجل نشرها في أحد دواوينه فيرده المؤلف إلى إمكانية تمزيق ناظمها لها؛ لأنها تدخل في منطقة الوسط التي ظل الشاعر طول حياته حريصًا على عدم الاقتراب منها، وظلت ألوانه، اللون الأبيض واللون الأسود. ص 57.

وعلى صعيد الشكل ساهمت شاعرية الباحث في صياغة الدراسة النقدية الأكاديمية بعبارات ومفردات رشيقة وأنيقة، قلما تجدها في الدراسات المماثلة، خذ مثلاً هذا المقطع الوارد في الفصل الخاص بوطنيات أمل دنقل وتأمل كيف توحد المضمون النقدي بالشكل الأدبي:

الشاعر لم يتعامل مع الوطن مثل تهويمات الرومانسيين وعلى أنه وردة وردية في حقل أخضر أو بالمديح السمح، بل كان قاسيًا جدًا في فضح عورته، ليس فقط من خلال مؤسساته الرسمية، ولكن من خلال المؤسسات الشعبية فكما كان يرى الوطن عبر أوكار البغاء واللصوصية كان يراه في عيني بائعة اللبن وعمال السماد.

رايت عمال السماد يهبطون من قطار المحجر العتيق
يعتصمون بالمناديل الترابية
يدندنون بالمواويل الحزينة الجنوبية. ص 180.

وفي الحيز الخاص بموقف أمل دنقل من المرأة يرى الباحث أن الشاعر سقط في متعة الجسد بعد أن أدان تلك المتعة، ولا يبرر السقوط أن المتعة الأولى: بثمن، والثانية: متعة مجانية مع الشاعر، بعبارة أخرى فالشاعر لا يدين المرأة- الجسد إلا لأنها أسلمته لأبناء طبقة غير طبقته.

أسقط في أنياب اللحظات الدنسة
أتشاغل بالرشفة من كوب الصمت المكسور
بمطاردة فراش الوهم المخمور
أتلاشى في الخيط الواهن
ما بين شروع الخنجر، والرقبة ما بين القدم العارية وبين الصحراء الملتهبة. ص 188.

صعلكة حرة

أما الموت الذي يفترض أنه شكّل مفصلاً في حياة أمل دنقل وشعره، فيدرسه الباحث بالمقارنة مع تجربة شبيهة وسابقة، وهي الخاصة، بالشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب، إن حياتهما المتشابهة

وتشردهما ومرضهما يتقاطعان عند الفقر، حيث إن السياب كان فقره مفروضًا عليه من الخارج، فيما كان فقر أمل صعلكة حرة واختيارًا واعيًا، عدا ذلك فإن تشابههما يصل إلى حد مدهش كما يقرر الدكتور جلال الخياط إذ يقول: ابتليا بمرض لا شفاء منه، ودامت مرحلة المرض عندهما اربع سنوات من عذاب وانتظار:

وظل كلاهما يحلم بما لم يكنه.
هل تريد قليلاً من الصبر؟
لا..
فالجنوبي يا سيدي يشتهي أن يكون الذي لم يكنه.
يشتهي أن يلاقي اثنتين.
الحقيقة.. والأوجه الغائبة. ص 200.

لم تخل فصول الكتاب الممتد على طول 287 صفحة من الحجم الوسط، من بعض المعلومات غير الدقيقة، والتكرار، والآراء البديهية في سياق تناوله بعض الأسماء التي تعرّض أصحابها للاغتيال؛ بسبب مواقفهم الوطنية، يرد اسم أنيس صايغ ص42 إلى جانب أسماء: غسان كنفاني وكمال ناصر وأبو يوسف، والواقع أن صايغ قد تعرض لمحاولة اغتيال نجا منها، وهو مازال حتى اليوم يواصل جهاده في سبيل المسألة الفلسطينية عبر نشاطه الفكري والموسوعي المتواصل والكثيف، وفي سياق الفصل الأول الذي يتناول سيرة أمل دنقل يحاول الباحث تبرير توقفه عند حياة الشاعر انطلاقًا من أنه واحد من أولئك الشعراء الذين لا غنى عن معرفة حياتهم الشخصية حين نريد دراسة شعرهم. ص 14. وقد استشهد المؤلف دعمًا لرأيه بما قاله عبدالوهاب البياتي من أن تتبع حياته الشخصية والعامة هو المفتاح الأكبر لفهم شعره، وبما رد به جان بول سارتر على الناقد الفرنسي تودي: يا صديقي لقد أردت أن أعرف

ماذا كتب جان جينيه، ورأيت أن مجرد قراءة أشعاره وأعماله المسرحية ليست كافية على الإطلاق.

وكان تودي قد أخذ على سارتر ضياع وقته حين تناول في كتاب عنه: حياته ولهوه وعبثه وتشرده وعبقريته. ص 14. والتبرير يأتي من باب لزوم ما لا يلزم، إذ من الطبيعي أن يخصص الباحث فصلاً عن حياة الشاعر حتى لو كان الكتاب متمحورًا على شعره فقط، فكيف وعنوانه: أمل دنقل شاعر على خطوط النار؟

ثم إن الكتاب الذي صيغت فصوله بالمنهج العلمي الأكاديمي قد انتهى بما لا تنتهي به عادة الكتب المماثلة فقد غابت عن صفحاته الأخيرة لائحة المراجع، إضافة إلى فهارس الأعلام والأماكن وهو غياب يشكل ثغرة في بنية الكتاب العلمية، وكان يمكن للناشر أن يتفاداه، فيكلف أحدًا بوضع تلك اللوائح والفهارس قبل أن يدفعه إلى المطبعة.

ولكن رغم كل الثغرات والهنات فإن قارئ الكتاب لابد أن يكون قد شارك الكاتب بكل وعيه وقلقه وفرحه، القلق على مسودة الدراسة من الضياع خلال محنة الكويت، والفرح لحظة العثور عليها لدى أحد الأصدقاء.

أحمد الدوسري في إحدى الأمسيات الشعرية

التاريخ والشعر..
موقعا أمل دنقل عند الدوسري

محمد الحربي(*)

أمل دنقل من الشعراء الذين ظلموا مرتين، مرة؛ لأنه لم يكن من جيل الرواد الذين استأثروا بكل الشهرة والدراسات النقدية، ومرة أخرى؛ لأن أجهزة الإعلام آنذاك منعت تداول شعره أو نشره بحجة أن شعره ثوري! الأمر الذي أجفل النقاد عن تناول أعماله بالدراسة.

هكذا يقدم الأديب الشاعر أحمد الدوسري كتابه «أمل دنقل- شاعر على خطوط النار» ويحاول من خلال دراسته أن يعطي أمل دنقل حقه في الموقعين: التاريخي والشعري كما أنه يعمد إلى انتقاد الأقلام التي انبرت بعد وفاته لكتابة المراثي المطولة عن الرجل الذي مات، بل وحتى أولئك الذين هاجموه في حياته وطالبوا بنبذه!

واللافت للنظر في كتاب الدوسري أنه لم يعتمد على النص بل على إحالة النص إلى أصوله الأولى والعكس- إحالة الأصول إلى النصوص وهو ما يسمي بالمنهج الشمولي، بل وصل الدوسري إلى العديد من النتائج التي أضاءت النصوص وتجربة الشاعر، فعندما تناول حياة الشاعر لجأ إلى التفسير والتحليل النفسي، إذ ربط حياة أمل بالشعر؛ حياته في شعره، وشعره في حياته، وبالتالي تتبع حياة وسيرة الشاعر منذ مولده في قرية القلعة عام 1940 في محافظة قنا الصعيدية والتي يقال: إنها كانت عاصمة للفراعنة، ويتتبع تعليمه منذ السنوات الأولى إلى

(*) كاتب وقاصّ إماراتي.

دراسته الجامعية مبينًا أثر والده الشيخ خريج الأزهر الشريف، كما يتابع نبوغه الشعري وهو في سن الطفولة الخضراء.

اتذكر
أختي الصغيرة ذات الربيعين
لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها المنطمس..

وفي فصول أخرى من الكتاب عمد المؤلف إلى تفكيك رؤية الشاعر إلى أجزاء وعناصر بحيث تبدو لديه عدة زوايا للنظر، إضافة إلى أكثر من منطلق، فتناوله كإنسان في مجتمع تحكمه سلطة، يقول أمل الشاعر الإنسان: إني أرفض الرؤية الهرمية للأشياء، وأن يكون النسر أقوى الطيور والصقر أحدقها، والبلبل أعذبها، فأنا لا أفهم مجتمعًا ينجب شاعرًا جيدًا، ولا ينجب كناسًا كفؤًا؟

كما يعمد أحمد الدوسري إلى تناول أدوات الشاعر وفنية قصيدته: الصورة- الإيقاع- اللغة- البناء الفني مؤكدًا على أن أمل دنقل كان شاعرًا وطنيًا، ولكن وطنيته لم تكن على حساب فنيته الشعرية.

يا إخوتي الذين يعبرون الميدان مطرقينا
منحدرين إلى نهاية المساء
في شارع الإسكندر الأكبر
لا تخجلوا، ولترفعوا عيونكم إليّ
لأنكم معلقون جانبي على مشانق القيصر.

ويبين المؤلف، وبتركيز على العلاقة بين النص والعالم المضمون من خلال الحرية، المرأة، الوطن، الزمن، الموت في تجربة أمل دنقل الشاعر، محاولاً سبر أغوار هذا المضمون الذي يحتوي تجربة أمل راصدًا في شعره المساحة الزمنية ذات المداول المكاني: الجغرافيا- التاريخ.

خولة تلك البدوية الشموس
لقيتها بالقرب من أريحا
سويعة ثم افترقنا دون أن نبوح
لكنّها كلّ مساء في خواطري تجوس

ومما يعمق دراسة الدوسري الاتكاء على ثقافة أمل دنقل، ووعيه السياسي النادر، وكيف نجح أمل في توظيف الينابيع الثقافية في شعره وأهمها:

- اللغة العربية.
- القرآن الكريم.
- التوراة والإنجيل.
- المأثورات الشعبية.

الشخصيات التاريخية والأسطورية والتراثية:

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى؟ أم لأرضي فيه تهويد
نامت نواطير مصر عن عساكرها
وحاربت بدلاً منها الأناشيد
ناديت يا نيل هل تجري المياه دمًا
لكي تفيض، ويصحو الأهل إنّ نودوا؟
عيد بأية حال عدت يا عيد

ويخلص المؤلف في كتابه إلى أن أمل دنقل على مستوى حياته وسيرته عاش ومات فقيرًا، وتساوت عنده الأشياء فلم يساوم على مبدئه، حتى في أحلك الظروف:

معلق أنا على مشانق الصباح
وجبهتي- بالموت- محنية
لأنني لم أحنها- حية!

امتلك الشاعر أمل دنقل رؤية واضحة للأشياء من حوله فقد أحب وطنه الصغير- مصر- ووطنه الكبير العربي. أما عن المستوى الفني في اللغة والصورة والإيقاع، فأهم ما يلفت الانتباه، اهتمامه الشديد بالتراث العربي، واستنطاقه لكثير من قيمه الخالدة، واستحضاره لرموزه بطريقة متفردة لا يكاد يشابهه فيها أحد من الشعراء.

لا تصالح
ولو منحوك الذهب
أترى حين أفقأ عينيك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما
هل ترى..؟
هي أشياء لا تشترى

لقد أراد أمل دنقل طوال حياته أن يسجل موقفاً من هذا العالم الذي لم يصالحه أبدًا، ظل يشاركه، واستنزف عمره القصير الذي شهد من يوم مولده إلى يوم وفاته مسافة من الألم الحاد ملأها جسده الناحل فعاش ويعيش قرونًا طويلة.. أما غيره فلن يعيش سوى سنوات!

وتبقى كلمة : إن هذا الكتاب الذي انتهى منه الشاعر أحمد الدوسري قبل أحداث الكويت بمدة طويلة، يعد من الكتب المرجعية جيدة المستوى التي يرجع إليها الدارس، ويعجب المرء، كيف أنه تأخر كل هذه المدة، ولم يصدر في وقته البعيد زمنيًا حتى الآن!

الانقلاب المستحيل على صدام..
وإعدام الروائى حسن مطلك

عبد العزيز الدوسري(*)

للشاعر الكويتى أحمد الدوسري، صدر قبل أيام كتاب «مستحيل الكتابة أو 120 ٪ ذاكرة» عن مركز الحضارة العربية، وفى الكتاب فصل بعنوان «أسرار العرض العسكرى الذى نجا منه صدام بأعجوبة»، نقرأ للمرة الأولى تفصيلات عن إعدام الروائى العراقى حسن مطلك الذى أصدر رواية وحيدة بعنوان «دابادا» وظلت ملابسات اختفائه، ثم إعدامه مجهولة، وكذلك معلومات عن محاولة انقلاب عسكرى ظلت مجهولة هى الأخرى. هنا مقتطفات من هذا الفصل:

حدث ذلك فى أحد أيام شهر أبريل من عام 1991. أى بعد تحرير الكويت بشهرين تقريبًا، جاءنى أحد الأصدقاء، وحدثنى عن رجل لديه ما يمكن أن يقوله لى! وعندما استفسرت منه عن هوية الرجل، ولماذا أنا بالذات، طلب منى عدم الاستعجال والتريث، حتى أراه، فى فضولى المشهور به، وهو داء أصابنى منذ أكثر من عشرين عامًا عندما عرفت الصحافة لأول مرة، ولذلك قصة أخرى سترد فى فصول أخرى، يدفعنى من أجل لقاء الرجل. ولم تنفع محاولاتى الكثيرة مع صديقى من أجل أن يبوح لى بسر الرجل! كل ذلك على الرغم من أن ذلك الصديق قد حدد لى موعدًا معه فى مساء اليوم نفسه.

انتقلنا بالسيارة إلى مكان الموعد، وفى الوقت المحدد رأيت الرجل فى

(*) كاتب كويتي مقيم ببريطانيا.

منزل مستضيفه.

التقيت «س. د» وهذه ليست الحروف الأولى من اسمه بالتأكيد، فالرجل طلب منى أن أنشر هذا الحديث، ولكن ليس قبل مرور بعض الوقت لئلا يتعرض لملاحقة أزلام السلطة فى العراق، وها قد مرّت سنوات على هذا اللقاء. لقد مرّت سنوات ربما أكثر مما يجب!! وهآنذا أتحدث عنه الآن بحرية أكبر. فمن الأشياء التي لا تتكرر على الدوام أن يلتقي المرء مع انقلابى «سابق» على صدام حسين فى الكويت المحررة للتو من هذا الأخير. وكما لو أن الأمر يبدو امتدادًا لغويًا لرواية «دابادا» لأحد الانقلابيين، ونوعًا من الغرائبية ذاتها التى كتب بها حسن مطلك أعماله القصصية والروائية. ومارسها رجل مثل: صدام حسين على بلد مثل العراق منذ أكثر من ثلاثة عقود. وبهذه الغرائبية المطلقة التى كتب بها أحد أعضاء تنظيم العراقيين الأحرار تم فى الواقع التخطيط للانقلاب على نظام صدام حسين واستبداله بنظام ديمقراطى.

يقول محدِّثي المتواجد فى الكويت إبان الغزو ثم التحرير: «فررت فور انكشاف أمرنا إلى الكويت التى عبرت حدودها برًا. أعتقد بأننى الناجى شبه الوحيد من مجزرة الإعدامات التى طالت كل أعضاء التنظيم».

لكن الناجى شبه الوحيد من الإعدامات التى طالت أعضاء التنظيم. لم يكد يستقر فى الكويت متخفيًا إلى حين تحين الفرصة المناسبة للخروج إلى أوربا - كما ذكر لى - حتى لحق به إلى الكويت صدام حسين مجتازًا هو الآخر حدودها، ولكن ليس هربًا من إعدام يطارده من أحد ولكن لنشر المزيد من الإعدامات والموت.

يروى الانقلابى رفيق حسن مطلك أنه قضى شهور احتلال الكويت فى رعب دائم. فهو من ناحية لم يكن من السهل عليه التخفى ككويتى، إذ لم يكن يملك هوية طالب كويتى وكان أغلب الكويتيين الهاربين يفضلون هوية طالب!! أو فى أحسن الأحوال هوية موظف فى وزارة التربية.

ثم إنه من ناحية أخرى عراقى، وقد يعرضه ذلك لشبهات من الكويتيين أنفسهم. ويروى بأنه حاول الهروب إلى المملكة العربية السعودية لكنه لم ينجح فى ذلك. فى النهاية وجد أحد الكويتيين المتفهمين فخبأه لديه.

أما أغرب ما يرويه لى «س. د» فى الكويت، فهو التالى:

كان قد استقر لدينا بأن ساعة الصفر كما يسمّيها الانقلابيون عادة فى الوطن العربى، هى أول احتفال لصدام حسين على بتأسيس الجيش العراقى فى السادس من شهر يناير (كانون الثانى). وبالفعل فقد تم تجهيز كل شىء على هذا التوقيت. لا تستطيع أن تتخيل كيف نجا صدام حسين من موت محقق. إنه ذئب غير بشرى. لك أن تتخيل خطة فى غاية الإحكام كانت سوف توفر على العرب وعلى الأخص الكويتيين والعراقيين آلاف الموتى والأسرى والمعاقين، ناهيك عن الدمار المادى والمعنوى. شهور قليلة فقد كانت سوف تغير مجرى تاريخ المنطقة، لذا لا أخفيك سرًا بأن هذا الرجل محمى بفعل قوى خارجية تتعاون معه من أجل إلحاق الأذى بالمنطقة!

لم يكن محدِّثي الذى يستضيفه أحد الكويتيين يطمع سوى بتوثيق هذه التفاصيل؛ لكى يطلع عليها الآخرون فيما بعد. كان فى غاية الهدوء ولم تكن أمارات الرجل العنيف تبدو عليه، وإن كانت قامته العسكرية لا تخطئها العين. وكان من حين لآخر يبتسم بتلك الابتسامة التى سيتم تعميمها على العرب جميعًا بفعل مغامرات السلطة هنا وهناك: ابتسامة اليأس!

لكن كيف نجا صدام حسين من الموت قبل السادس من يناير؟

ولماذا اختار تنظيم الضباط، ثم لاحقًا العراقيون الأحرار توقيتًا مثل هذا؟

كيف تتم تصفية الرجل ونظامه معًا فى ساعة عرض قوته؟

لابد أن المثال المصرى كان حاضرًا فى أذهانكم أليس كذلك؟ المنصة

والعرض والبزة العسكرية... و

«قاطعنى محدِّثي ليقول بثقة «لا ونعم»؟

كيف؟

يضيف محدِّثي «إن حادث المنصة المصرية الشهير، كان مجرد اغتيال، ولم يكن تصفية لنظام بالكامل. لم نكن نريد تصفية صدام حسين وحده. لم يكن يعنينا ذلك كثيرًا، نظام البعث بأكمله هو الذى كنا نريد تصفيته. نظام الحزب الواحد، النظام المخابراتى. هل تظن بأننا كنا نريد التضحية بأنفسنا من أجل أن يأتى ديكتاتور آخر؟

لكن كيف كنتم ستصفون نظامًا بأكمله فى ساعة عرض عسكرى؟

سألت الرجل وأنا أعرف بأننى كنت أقترب من أكثر أجزاء الحديث إثارة.

استطرد الرجل بهدوء «اسمع، لقد قررنا أن نصفى كل النظام فى يوم العرض العسكرى، وليس فقط صدام حسين. لقد كانت الخطة تقضى بأن يحدث ذلك على الهواء مباشرة، فقد كانت هناك قوة سوف تحتل مبنى الإذاعة والتلفزيون. لم تكن قوة من الخارج، كان أغلبها من القوة التى تحرس المبنى نفسه، على أن يستمر بث التصفية للعراقيين والعالم بأسره. لقد سبقنا الـ «سى إن. إن» فى التفكير بنقل الوقائع المثيرة للمشاهدين عبر البث الحى!

كنا قد خططنا لانقلاب على الهواء مباشرة؟

ألم أقل لك بأنه كان سيكون اختراعًا عراقيًا؟!!

أما بالنسبة للقصر الجمهورى: فقد كان هناك اللواء المكلف بحراسة هذا القصر، هو نفسه المكلف فى لحظة الانقلاب بالاستيلاء على القصر الجمهورى، وتصفية كل مَنْ كان فيه من البعثيين. وكان هناك فى كل الوحدات العسكرية مجموعة مكلفة بالاستيلاء على وحدتها. كان كل شىء سيحدث فى توقيت واحد تقريبًا.

كنت أصغى باهتمام بالغ لحديث الرجل دون أن أتمكن من وقف

النشاط المحموم لذهنى فى طرح التساؤلات. وسألته فجأة: وماذا عن الجزء الأهم، أعنى العرض العسكرى نفسه؟

فى لحظة مرور فرقة الدبابات كان هناك عدد من الدبابات مكلف بقصف المنصة، أى استهداف صدام حسين مباشرة. وفي الوقت نفسه تطلق الطائرات الحربية المشاركة فى العرض صواريخها على المنصة، ناهيك عن الجنود الموجودين فى العرض، والذين كانوا سيشاركون أيضًا بأسلحتهم. كانت ستكون مجزرة حقيقية للديكتاتور.

كما ذكرت لك قبل قليل كان التخطيط محكمًا للغاية، لكن أحد الضباط فى الأيام الأخيرة كان قد ارتكب الخطأ الوحيد والبسيط القاصم! وهكذا تفشل الخطط وتخسر القوى ويتغير التاريخ بسبب خطأ بسيط جدًا وليس خطأ كبيرًا، لقد فاتح هذا الضابط شقيقه بموضوع التنظيم وشىء من خطة الانقلاب على أمل أن يقوم هذا الشقيق بدور ما تخيله هذا الضابط، لكن هذا الشقيق التعيس كان صدام حسين بما بناه من أجهزة مخرية فى المجتمع العراقى قد استطاع أن يفصله عن شقيقه. استطاع أن يتسلل إلى بيت هذا الضابط عبر تنظيم إرهابى اسمه حزب البعث العربى الاشتراكى.

وكان هذا هو الخطأ الذى كلّف إعدامنا جميعًا، وغزو الكويت وتخريب العراق.

لقد وشى الشقيق البعثي، أو ربما فقط المستبعث، بشقيقه الضابط وقيل له اسكت ولا تخبر شقيقك حتى نعرف كل أعضاء التنظيم أو على الأقل أهمهم، لقد تم القبض على الجميع بالفعل ما عدا محدّثي الذى اختار الكويت لكى يهرب إليها، ثم ما لبث صدام حسين لأسباب مختلفة أن تبعه إليها. أما شقيق الضابط العراقى الذى وشى بأخيه، فقد قيل له فى البداية إنك تقوم بعمل وطنى وقومى وسوف تمنح.. نوطًا للشجاعة؟

هذا الرجل كان يستحق بالفعل نوطًا لكل هذه الشجاعة التى توافرت

فى جسده وروحه ضد شقيقه ووطنه؟.. لا يشى بشقيقه لكى يعدم سوى رجل شجاع شجاعة خاصة.. بل إن قلبه ميت.. حقًا.

لكن صدام الذى عرف بالوفاء التام!! لم يقلد هذا الشقيق نوطًا للشجاعة أبدًا، بل علقه هو إلى جوار شقيقه؟

فالذى يخون شقيقه عند صدام سيخونه يومًا ما.

هذا الـ صدام كان محقًا هذه المرة.. هذه المرة فقط.

سوف يذكر التاريخ لهؤلاء الأبطال الشجعان محاولتهم الجريئة هذه بالتأكيد.

ثم ظللت غيمة حزن وجه محدِّثي وهو يتكلم عن أصدقائه الذين سقطوا من أجل الحرية. ومن هؤلاء الروائى الشهيد حسن مطلك، لقد كتب حسن مطلك روايته «دابادا» وفى ذهنه بالتأكيد محاولة الانقلاب على السلطة، أى سلطة. سلطة النص، وسلطة صدام حسين. أكثر ما دمَّر الكتابة العربية الاستنساخ والتقليد، لذا أصبح النص العربى - إلا قليلاً - محكومًا بلا هوادة بديكتاتورية التناص القدرى. الشعراء كلهم ينبضون بوتيرة واحدة. الروائيون، الصحفيون، المفكرون كذلك، والسلطة السياسية العربية بلا استثناء. حسن مطلك الشاب المتدفق حياة ذهب بعيدًا جدًا فى معارضته. لقد أراد أن يقبض على السياسى والروائى بيد واحدة، فأوثقوا يديه معًا تحت المشنقة، لكن وإن غيّبوا جسده فإن نصه الروائى لم يغب أبدًا. وها نحن أولاء جميعًا نتذكر ونكتب كما لو كانت الرواية قد صدرت حديثًا، كما أن «دابادا» لم يتم تجاوزها حتى بعد مضى أكثر من ثلاثة عشر عامًا. وأكثر من عشر سنوات على استشهاد كاتبها.

ومن المفارقات الطيبة: أن حسن مطلك الصديق والإنسان والروائى والانقلابى الثورى استطاع أنّ «يحيينا» جميعًا؛ من أجل أن نكتب ونتذكر ونقاوم، لقد استنطقنا واستكتبنا ودفع الكثير للكتابة ليس بالضرورة عنه ولكن عمّا استشهد من أجله.

همس الحرية العالي في أرخبيل المنافي

غــــازي الذيبــة(*)

(1)

في جزءين كبيرين صدرت للشاعر أحمد الدوسري أعماله الشعرية، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث بقطر، واحتوى الأول على الدواوين : (1) المواظبـــات والمآخـــذ (2) القلوب الرُّحَّل.. أو شيء الأشياء(3) عزلة في تابوت الفوضى (4) بستان الشغب (5) لا أحد..... أو الطريق إلى باش غارسيا (6) الكلام لا يزال للغيمة.

وفي الجزء الثاني : (1) صري إليك ثمانية من الطير (2) انتشار المسدس والكوليرا في القلب (3) متاهات حمدان (4) معلقة ح لـ مريم (5) لا شيء يقاوم شيئًا (6) آيل للمكوث (7) الخروج على النهر (8) الجواد الأخير (9) المصرخية الشعرية : كتاب الحكمة.

وبذلك تكون حصيلة الدواوين الشعرية للدوسري في هذه الأعمال قد وصلت إلى : خمسة عشر ديوانًا، تفاوتت أحجامها، كما تفاوتت فضاءاتها وانشغالاتها وتقنياتها الأسلوبية، فيما انتظمت جميعها باتجاه منطقة، يبدو أن الدوسري أثث عالمه الوجداني تحت سقف عمارتها، وهي الحرية، في سياقها الوجودي والذاتي والاجتماعي والسياسي.

(*) شاعر فلسطيني.

وبرغم عدم انتظام ترتيب الدواوين في المجموعة بحسب تسلسلها الزمني، فإن اتساق منظومتها الرؤيوية بقي واضحًا، محمولاً على ذهاب الشاعر إلى الحرية دون تلكؤ، ومباشرته في اقتناص ما يؤكدها، حتى لو كان ذلك على حساب القصيدة أحيانا، فللحرية عنده طعم لا تحده مساحة الرمز أوالتأويل أوالتورية، لأنها تعبير جلي عن الذات وحاجتها للاطمئنان إلى وجودها، وحيويتها وامتنانها للعالم والشمس والبحر، ولا يمكن التفريط بها مهما كان الثمن قاسيًا ومكلفًا.

وتكمن دوافع الشاعر الذاتية في ذهابه نحو الحرية بـ 15 ديوانًا شعريًا إضافة إلى أعمال أخرى كتبها نثرًا في الرواية والسيرة والنصوص، إلى معطيات الظرف الاجتماعي السياسي الذي عاشه أحمد الدوسري (ابن الكويت) دون الاعتراف بمواطنته، مما دفعه فيما تلا ذلك إلى أن يخرج على النص (المواطناتي) إلى أوطان أخرى، يحدق بحريته في جنباتها، دون أن يكون ملزمًا على الوقوف بطابور مؤسسات الأحوال الشخصية كي ينال اعترافًا بمواطنته.

إن هذه الثيمة التي تنبني عليها إحالات أعمال الدوسري الشعرية، وبهذه الكمية الكبيرة من الدواوين، تقودنا إلى أسئلة عديدة، أبرزها :

لماذا غابت تجربة الدوسري عن البروز في مساحة الشعر العربي الحديث كباقي التجارب الأخرى، لشعراء أقل إنتاجًا وبراعة منه في الكتابة الشعرية؟

وهنا لا يمكن إخفاء الحالة التي أنتجتها حرمانات الدوسري من كينونته المواطناتية في شعره، بالإضافة إلى تجربته المريرة التي عانى من آثارها، وكان سببها المباشر سجنه في العراق فترة زمنية مع أسرى كويتيين وعرب، إبان وجود النظام العراقي السابق عند احتلاله الكويت.

وفي هذه المساحة من الاتصال الإبداعي، يقدم الشاعر الذي عاش وما زال يعيش في اغترابه، نصًا شعريًا، تتمدد فيه الإشارات المباشرة

وغير المباشرة في البحث عن خلاص من (قهر) اللحظة الاجتماعية والسياسية.

إن دراسة فضاء اشتغالات الدوسري الشعرية، وهذا الكم الكبير من الإنتاجات الشعرية لدواوينه، لن يكون مخلصًا تمامًا لهذه التجربة، الغنية بمفارقاتها وتفاصيلها ومشاغلها، ولكن إلماحة بانورامية سريعة، قد تقود إلى إدراك سعة التجربة، والإطلال عليها، ومحاولة قراءة بعض مفاصلها.

(2)

إن تحديد مسارات انشغال الشاعر أحمد الدوسري الشعرية تظهر في خطوط ثلاثة هي. الأول : الظرف الإنساني الذي عاشه الدوسري (الثقافي والاجتماعي والسياسي)، وفي فضائه تتكشّف منطقة حادة الملامسة، وعميقة الدلالة، هي : الاغتراب بمعنييه الداخلي والخارجي، والذي على أرضه بنى عمارة شعرية مشحونة بالغضب الذي يصل حد الصراخ أحيانًا.

إن هذا الظرف، يحيلنا إلى قراءة مفاهيمية اجتماعية سياسية لما تنطوي عليه معاناة الإنسان في البحث عن هوية تعترف به وبوجوده المادي، وهي تسبب لدى صاحب هذه البحث إشكالية في استقباله لحالته، والتواصل معها، إذ لا يستطيع أن يكون خارجًا على ذاته ورغبتها وحقوقها، وإذا ما منع من تحقيق ما هو حري به؟ فإن ذلك سيشكل مقدمة لثورة على القيود التي تحد من طلاقته وانعتاقه باتجاه وجوده.

وإذا كان صاحب هذه المعاناة شاعرًا فإن صوغه لوجوده الشعري سينطوي على هذه الحالة، ولن يتخلص منها لاحقًا، بل سيزداد كشفًا لمعاني الألم التي تحملها.

فروح الشاعر طائر شفيف، تمتلك قدرة على التحول والانعتاق بمجرد محاولة وضعها في قفص، وهي لا يمكنها أن تتماهى مع الإلغاء والمحو أو التغييب، ولا تستطيع أن تتكيف داخل ذلك القفص المقيت الذي يجبرها على أن تكون حية في إطار قضبانه، دون أن تمتلك حق التنفس وعب الهواء.

وفي فضاء كهذا، تتكشّف منطقة حادة الملامسة وعميقة الدلالة، هي : الاغتراب بمعنييه الداخلي والخارجي، والذي على أرضه بنى الدوسري عمارته الشعرية، ومنحها شكلها ووجدانها ومعناها، وقدم عبرها خلاصة انحيازه للحرية، وتوقه الحار إلى تحقيقها، ولعل الاقتراب من شعره، سيقدم هذه الرؤية دون أن يكون هناك إشكاليات في التعرف عليها، وهو يمزجها بسخرية سوداء مبثوثة في جسد القصيدة، دون إعلان عن هذه السخرية، أو الإيذان بما ستقبل عليه من مفارقات، تحمل غالبا في كنهها : مجازًا صوفيًا حاد الملامح في اقترابه من الروح التائقة للخروج من مكابداتها، واندفاعًا باتجاه الجهر بكل ما تحمله هذه الروح من غضب ومرارة وألم:

" تاه
بين مسجده وخطاه.
تاه
حين جر على قلبه الانتباه
تاه
لَمَّا فرّ من الله
متخذًا صنمًا من هواه
والكاظمين الحلم
والعافين عن الفاس

والقا تلين الناس
بجواز سفر
وجواز الظلم لمن ليس لديه
جواز
والكاتمين النفس بالنفس
والجاعلين المواطنين مجاز
والآدميين بالاستعارة
آه ما أقسى العبارة
آه ما اقسى انخفاض واجتياز الإشارة
وتخطّي أسوار المنفى بحذاء البلاغة "

إنّ محمولات هذا المقطع الشعري، لا تتوقف في اندفاعاتها جهة تقرير حالة العسف، التي يتحول فيها الإنسان إلى مجرد جواز سفر، ويتحول فيها الوطن إلى " حذاء البلاغة " والآدميين إلى استعارة، ولا يتوقف الشاعر هنا عن مكابدته، وإن حملتها التحولات الوجدانية، وشحنتها المشاعر النارية داخل روحه بمفارقة لاذعة بمرارتها؛ لأنه ما زال يخطر وسط هذا اليم المتلاطم الأمواج، المسحوق بذات الفكرة عن الوطن والهوّة :

" لإيتاء ذوي " الغربى " حزنهم
والمساجين وأبناء المستحيل
وأحلام السبيل :
فرّقوا الندى
على أفواه
ما تلقفه
حين هوى منكم إلا الله " .

أي مرارة هذه التي تمضي بشاعر إلى تلك المنطقة الحارقة؟ وأي روح متوثبة غاضبة تحتشد داخله، لتأوي قلقها وشفافيتها وإيمانها بهذا القدر من الحرائق؟ إنه الشعور الحاد بالاغتراب والدخول في متاهته وأصقاعه الباردة، حد انقطاع كل الوسائل المتاحة للدفء " إلا الله " مانح الخلاص وواهب الرؤية.

إنّ مجموعة المواظبات والمآخذ، التي اقتبست منها مقطعي الشعر السابقين للدوسري،، هي أقرب مجموعاته إلى تكوين علاقة جدلية بين نصه الشعري، وبين عالمه في الاغتراب الخارجي والداخلي، فهي كتبت خارج الكويت، حيث تتآلف فيها ذاكرة الشاعر المستعادة، ممزوجة بألم الاغتراب المادي، وما حملته وهي قادمة إلى اغترابها الجديد مع اغترابها الجديد نفسه، وفيها تتكشّف مرحلة توجه الشاعر إلى مناطق شفيفة من البحث عن الذات، وترقبها، ورؤية ما تنتجه من أفعال تصعد به إلى تنقية نصه من الماضي، وإعادة استدراجه في مكان آخر، بروح بدأت ترى جيداً تلك العلاقة الخفية بين الخراب وبين ما قد تصل إليه بالإيمان.

(3)

أما المستوى الثاني فهو : الفضاء الصوفي الذي يشكل رحلة خلاصية للشاعر من حالة القهر المادية، وهي نوع من انفصال الذات عن عالم لا تستطيع المكوث فيه، سواء كان هذا الانفصال مكانيّا أو روحيّا، وهنا تتجلى التأثيرات القرآنية على نصوص الدوسري، ومحاولاته الحثيثة وأحيانا المتقصدة لاستخدام بعض أساليبه في تركيب جملته، وإظهار مدى التصاقه بهذا الكتاب العظيم، مما يمنح المطل على كتابته الشعرية إحساسًا أول، بأنه يكتب قصيدة ذات نسق ديني مباشر، لكن سرعان ما تتبدى القصيدة واضحة في أشعاره، واضحة بمعنى أنها تتخلق داخل

إسار رؤية الشعر الفكرية، ولكن الذاهبة إلى مكاشفة الشعر بقدرة على البوح بما يعتلج في قلب الشاعر وروحه :

" مثل نورك لا شيء به يختلي،
فكيف أبتلي
نفسي بزئير العتمة؟
إني آنست نارًا،
وجذوة بي تصطلي
أزل أكتك
ابن لي خطاي
فأنا لست لي".

إنّ هذا الاندغام في الذات ومحاولة صهرها، لتصبح ذوات في واحد أو واحدًا في ذوات عديدة، لا يمكن له أن يخرج بهذه الحرارة المرتفعة، إلا إذا كانت دوافعه تمتلك احتدامًا روحيًا عاليًا عند صاحبها :

" إن منك لسحرًا
قد بنيت يا سيدي أمرًا
أن أمكث في نورك حرًا
في حراء الروح أنادي سحرك يا سيدي
وبيانك أشرق من قلبي
والجور أجنحة تخفق في غير زمانك
هل لبراق الروح مهابط في جسد
مستولى عليه من الوحشة"؟

وفي منطقة أخرى تكاد تلامس توهج الاندغام الروحي وعلائقه في تجربة الدوسري الجوانية :

" فتشت قلبي تفتيشًا دقيقًا جدًا

آه

يا سيدي

لقد عثرت عليه فيك.

...

في آخر مباحثاتي مع الغياب

نصحته الا يستمع

إلى مسافات السوء.

...

لا حنين

إلا عن ظهر قلب ".

إن إشراقات النص الشعري، تكمن في تعدد مستويات الدلالة فيه، وطاقته على أن يكشف مباشرة عن فضائه، معلقًا أثره في سماء الومض، ويمكننا النص الشعري المحمول على المفردة العميقة الباحثة في مناطق الروح وخفاياها، والمقرون بفضاء التجريب، ومحاولة تسديده ليكون نصًا محملاً بالإشارة والبوح، من تجاوز البحث عن أثر القصيدة فينا؛ لأنه يحفر عميقًا في وجداننا، ويضعنا أمام هيولى ذات أخرى، تندفع بعنفوانها وهدوئها باتجاه إلقاء القبض علينا ونحن متلبسون بالأمل والحنين والغضب، المهم ألاّ تتركنا محايدين :

" الكوليرا في قلبي مستوطنة

والأصدقاء

متشابهون كاليابانيين

يثابر هؤلاء الأصدقاء

على اجترار الأزمنة

أبرئن ضدهم قلبي
لئلا يشهروا الصباح
في غمار الأمكنة".

لا يقف الدوسري في معطى تحولاته الشعرية عند التجربة الروحية للذات، فهناك في منطقة قصيّة ومؤلمة في الوقت ذاته، تكمن افضاءات أخرى، لها علاقة بالواقع المباشر للألم والمعاناة، إنها تجربة السجن، وقبل الوصول إلى مغائرها القاتمة والمعتمة، لا بد هنا من الإفراج عن فكرة ظلت تراود هذه المقالة منذ كتابتها، وهي : ألا يمكن اعتبار أن التجربة العالقة بالسجن المادي للدوسري هي في معنى ما، تجربته في سجنه داخل منطقة اللاهويّة؟

إن السجن المادي كان قاسيًا، تظهر الكثير من ملامحه الثرية بالعناء في قصائد الدوسري المكتوبة بعد التسعينيات من القرن العشرين، ولكن تجربة ما بعد السجن حفرت عميقًا في وجدان الشاعر، إذ لم يجد بعد تحرره ورغم ماحدث له في سجون نظام صدام حسين السابق، من يرى فيها ابنًا لبلده التي ولد ونشأ فيها.

فكانت الصدمة أقسى مما يتوقع وقد أثرت في الشاعر كثيرًا حتى إنه لم يغادر فضاءات هذا الألم في أغلب قصائده الجديدة، أما تجربة السجن المادية، فإنها حملت كل شراستها؛ لتشف في نصوص الدوسري، ولتشكل بداية المرحلة الجديدة في تحولاته الشعرية لاحقًا، وبخروجه فيها على تقاليد قصيدة السجن المعروفة، فهو هنا يحمل فضاء السجن سخريته وألمه وفائض توقه إلى أمكنة ليس لها علاقة بحريته هو، بقدر ما لها علاقة بروحه التائقة إلى قراءة هذا التعسف وهذا الجبر اللامبرر من الإنسان لأخيه الإنسان، على فعل، أقصى جرائره تكمن في أن صاحبه لا يحمل تهمة من أي نوع غير أنه مواطن لهذا البلد الذي احتل،

ومن ثم يجب اعتقاله وزجه في مكابدة لم يكن هو ينتظرها.

يقول الدوسري في إجابته على سؤال حول كيفية احتفاظه بقصائد السجن، في ظروف كالتي عاش فيها : " لم يكن يتسنى لنا استخدام أي أداة أو أن نحمل أي شيء معنا داخل السجن، فقط كل ما يمكننا أن نعرفه في تلك الغرف المظلمة والسوداء، هو وجوه بعضنا وأصواتنا التي تخرج في تلك العتمات كطيور صغيرة تبحث عمّن يسندها، لم نكن نفكر بأشياء كثيرة داخل السجن، كانت الذاكرة هي التي تنشط، وتمنحنا فرصة لاستعادتها، لذا كنت أجهز القصيدة، وأرددها على مسامع أخي عبد العزيز فيحفظها، ومن ثم ينشدها للسجناء " :

احبك
وجهك ينمو بزهو على جمد السقف
والسجناء
يتوقون للفتيات
وفرشاة أسنان
يمدون غيبتهم لأعالي المدى
يتعاطون نجمتهم
تقفين على طرف القلب
فدعي ما تبقى من القلب
حرًا.
أنا للجميع وللفقراء أغني".

هذه الذاكرة، تتجمع دفعة واحدة، تريد أن تقول كل شيء في اللحظة التي تحتاج فيها إلى كل شيء، وفي السجن هي هكذا، لكن الشاعر له طقوسه في القول، وله عالمه في تمكين الحياة من التغلغل إلى داخل الأشياء، ومنحها تلك الأهمية التي تمنح للحياة والحرية ذاتها، فهي أشياؤه

القريبة من عالمه، وهي جزء من ذلك العالم الذي كان فيه حرًا طليقًا :

" *لدينا متسع من الخوف*
لدينا منه حتى الساعة العاشرة
هاتوا قلوبكم
كي نرقص تحتها
أيها المحتفلون / أيها السجناء
الرغبة تمشي في الوجوه
وأنا ملوث بالطرقات
الطرقات لو لت
هل تمشي في الطرقات
هل تسير في نفسها " .

(4)

في المستوى الثالث : الشكل الفني، وهو هنا لا ينفصل عن حالة التوتر الذي تنتجه محصلة العوامل التي صاغت وجدان الشاعر، وشكّلت عمارته الفنية، وانطوت في أساليبها المتعددة، على طاقة الشاعر في بناء عالمه : سواء كان هذا البناء متمددًا في شكل قصيدة الدوسري الخارجي، أو في مضمونها، ويثير الشكل الفني عنده عدة أسئلة حول مدى انضباط سياق الشكل مع البناء االمعماري للقصيدة، وما هي مناطقه التجريبية التي يمضي إلى فضاءاتها، محاولاً اختراق سيادة الشكل التقليدي ببعض المغامرات التجريبية، سواء على صعيد المفردة أو ابتكار المفارقة من خلال استعمالها، أو عن طريق التجريب المباشر من خلال كتابة قصيدة نثر، وقصيدة تفعيلة، وقصيدة غير منضبطة الوزن، أو كتابة القصائد القصيرة والطويلة جدًا والقصائد المركبة، وأخرى ذات

منحى غنائي عالي الإنشاد، وأحيانًا الذهاب إلى منطقة السرد النثري المباشر حتى فيما هو موزون من قصائده، وهكذا.

أيضًا، فإن تجريبية الدوسري التي لم يكن بالإمكان كشف إفضاءاتها بديوان أو اثنين، دون اعتبار أن ذلك مجرد مغامرة يقوم بها الشاعر إلى أن يستقر على شكل بعينه، ولكنه يقوم بتجريبه في 15 ديوانًا، وهذا التجريب هو ما يكشف مساحة القلق التي يعيش فيها الشاعر شعريًا، فهو لا يقر على شكل بعينه، فمن القصيدة التوقيع إلى القصيدة النشيد إلى المصرخية الشعرية، ولنلاحظ هذه المحاولة الابتكارية - ربما - أي المصرخية، وهي الديوان الأخير في الجزء الثاني من أعماله، وفيها تجربة كتابة مسرحية، يرتفع فيها الصراخ حد أن ذهب الدوسري إلى تسميتها : مصرخية، دالاً بذلك على شدة الأوتار الصوتية التي تقيم فيها، وعلى محاولاته الجادة حقًا في إنشاء نص يتفرد هو بامتلاك شفراته الوراثية.

لكن هل يمكن أن تكون الفرادة على حساب النص الجمالي؟

إن ترصد هذه العجالة، يجعلنا نقف في منطقة حادة الكشف، فثمة مغامرات لا تدرس في معطى التجربة ككل من القائمين عليها وفي تجربة الدوسري كان الذهاب أحيانًا إلى الكتابة بتنوع في الشكل واللون والطعم، وهو ذهاب له خصوصية، عاشها الشاعر هنا بنفسه، وارتبطت بعوالمه، فمن إقامته في بلده الكويت إلى الخروج منها باحثًا عن بلد آخر يقر فيه؛ ليصل المحطة الأولى كراتشي فأميركا وجنيف ثم قطر، ناهيك عن بلدان عدة ألقى حقائبه فيها، هذا إلى جانب تنوع قراءته بأكثر من لغة، كلها تتجمع لتوضب الخلفية التي تتحرك وراءه وتشيد عالمه المتعدد الأشكال والمواصفات.

ومن ثم تضع تجربته على محك المقاربة مع عوالمه المتغيرة، ومع ذاته التوّاقة إلى خلق خصوصيتها في ظل الخصوصيات العديدة للشعراء العرب والأجانب، لذا فإن متابعة هذه الإحالة تحتاج إلى بحث مضن،

مرتبط بالمكان جغرافيًا وشعريًا، وبذات الشاعر في تقبل فكرة التعدد داخل واحد، وفي تطلعه إلى أن يمكن نصه من العبور لمناطق عالم يراه متصحرًا، وممسوسًا بالجنون، لأنه يمنع الحرية عن أبنائه :

انتهز المنفى
وأمشي مثل يوم
اتقصى قامتي
راسي، حذائي الانتقالي، ضلوعي
- أين قلبي..؟
- غادر البحر إلى بحر بعيد
غير معلوم؟"

(5)

إن هذه الأسس ذات علاقة مباشرة بـ " كينونة " الشعر عند أحمد الدوسري، وتحولاته عبر تجربة طويلة، ممسوسة في قدر منها بالبوح والتحدي والتجاوز، والبوح هنا بمعنى: الكشف عن مؤدى الاغتراب في ذات الشاعر، وطاقته على تفجير كوامن ظلت قارة إلى حين تكشفت له مناح جديدة أخرجت صرخته المدوية في هجاء واقع مرفوض إنسانيًا، وتحدي هذا الواقع ماديًا، ومغادرته، وإن إلى حين، من باب رفضه والثورة عليه، وتجاوز هذا الواقع فنيًا، ومحاولة استدراجه إلى مناطق الشاعر ورؤاه الجمالية، وتحميله فكرة أحمد الدوسري الخاصة عن الوجود والشعر، وقد تؤول هذه الإحالة بأكثر من معنى، لكنها تظل ذاهبة لمنطقة رغبة الشاعر في أن يكون مختلفًا، خارجًا على سيادة السكونية في حركية القصيدة، بانًا فيها إدراكه العميق لشكل خاص به، ومفردة تقوده إلى خصوصية يبحث الشعراء والمبدعين عنها دائمًا، لكن حرارة

البحث عند الدوسري عالية، وأحيانًا مرهقة للنص، تصيبه بالانقباض والتقوقع على الذات، لأن الشاعر هنا أحيانًا يذهب إلى الإخلاص لها على حساب الشعرية وجمالياتها.

لقد كتب الدوسري جزءًا كبيرًا من أعماله الشعرية خارج الكويت، وظل تائقًا عبر سنواته البعيدة هناك في الاغتراب، وتحديدًا في جنيف التي ذهب إليها وأكمل دراسته وشكّل صوته الخاص شعريًا على بواباتها الباردة التي منحته دفئًا كان دائم البحث عنه في بلاده.

أوبرا ابن سينا

أوبرا ابن سينا

فن الأوبرا فن رحب بإمكاناته الفنية وقيمه الجمالية والتربوية، وقد شهد تطورًا هائلاً متعدد الجوانب في الشكل والأسلوب والمضمون من خلال القرون الثلاثة الماضية وحتى يومنا الحاضر والذي ترجمته إلى واقع ملموس أمهات دور الأوبرا في العالم، يعود مجددًا لإعادة الحياة إلى العديد من النتاجات الأوبرالية التي أنجزها العديد من العمالقة المؤلفين الموسيقيين وعلى رأسهم المايسترو الإيطالي (كلاوديو مونت فيردي 1567 ـ 1643) ولقرون ظل العرب بعيدين عن هذا الفن الراقى حتى عشرينيات القرن الماضي حيث ارتبطت هذه الرغبة في تمصير الأوبرا مع بدايات ظهور المسرح المصحوب بالغناء في العديد من مسارح مصر، ووجد العديد من الشباب المصري آنذاك من العاملين في المسرح، وبالذات من الفنانين الذين قاموا بزيارات متعددة إلى كل من إيطاليا وفرنسا بضرورة وجود فن مماثل لما شاهدوه في دور الأوبرا الكبيرة في هذه الدول، خاصة وأن هنالك إرثًا أوبرا ليًّا متميزا في هذا البلد والمتمثل في أوبرا عايدة وتاريخها الطويل الذي ارتبط بمصر، ويمكن اعتبار سلامة حجازي أول من ابتدع فن الغناء المسرحي والذي مهد بدوره لتطوير وتأصيل وتمصير هذه الرغبة ثم تبعه كثير من عمالقة التلحين مثل سيد درويش ومحمد عبد الوهاب وعزيز الشوان وغيرهم ولكنها كانت مجرد محاولات ورغبات اصطدمت بفقر الإمكانات المادية مع توافر وغنى في العنصر البشرى .

ولعل إقدام دولة قطر على التصدي لإنتاج أول أوبرا عربية خالصة

بمواصفات عالمية وبإمكانات موسيقية وإخراجية وإنتاجية تنافس الأوبرات العالمية هي محاولة جديرة بالوقوف أمامها كثيرًا وهى محاولة تستحق الإشادة بالدعم اللامحدود من قبل سمو الأمير المثقف الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني وسمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند اللذين أدركا بنظرة استشرافية أهمية هذا الفن في نشر الثقافة العربية بصفة عامة وبالثقافة القطرية بصفة خاصة بعدما نشر فن الأوبرا الثقافة الغربية وبخاصة الإيطالية عبر أكثر من أربعة قرون مضت .

لذا فإن تصدى شاعرنا لتأليف أول أوبرا عربية بمواصفات عالمية تقدم بأكثر من لغة هي خطوة تحسب له وتحسب أيضًا لدولة قطر التي رعت ودعمت هذا العمل المهم والتاريخي ورغم عشرات المقالات ومئات التغطيات الصحفية التي أشادت بأوبرا ابن سينا فقد اخترت مقالين الأول للمفكر المصري الدكتور ميلاد حنا والثاني للمخرج العراقي جواد الأسدي لما يتضمنانه من سرد تأريخي وفني وإيضاح أهمية إنتاج مثل هذا العمل والذي أتمنى أن تتبعه أوبرات عربية أخرى لما لهذا الفن من القدرة على الخلود وإيصال ما نريده إيصاله من أفكار وقيم ومبادئ إلى الآخر بطريقة يحبها ويعشقها .

أشرف

أوبـرا ابـن سيـنـا
فـى الـدوحـة

جــــواد الأســــدي (*)

ليس من المستـغـرب أبدًا أن يحـمل أحـمـد الدوسـرى زاده الشـعـري، وهواجسه الفنية وشغفه بالمعرفة. ويرميها على ليالى الدوحة التى أرادت عبـر برامـجـهـا الـثـقـافـيـة الجـديدة أن تنيـر زوايا وظلال الأمكنـة، ليس بالعـمـارة الخـارجـيـة وإنمـا بإعـادة بنـاء العـمـارة الروحـيـة بحيـاة راهنيـة ومـسـتـقبليـة تنبض بشـجـرة الفن، بهـدف تـرسـيخ القيم الثـقـافيـة والأعـمال الفنية التى تعطى الناس والأمكنة فى الدوحة روحًا أخرى، ارتقاء بها إلى مصاف المدن الباحثة عن الحياة المدنية والمجتمع المدنى.

هـا هو ذا أحـمـد الدوسـري ابن الـصـحـراء الخليـجـية القـادم من أروقـة الثـقـافـة الـسـويـسـرية، المفـتـون بإعـادة كتـابة الـتـاريخ الـعـربى كـتـابة تمنح الحيـاة دفـقًـا جديدًا في إمكانيـة قـراءة شـخـصـيـات فـذة، مثل ابن سـينـا، بشكل حـديث وجـديد، يـعـيـد إنبـات فـيـروس الـشـعـر فى نفـوس الناس الباحثين عن النهضة المعرفية الحديثة.

وربمـا مـن الأهمـيــة بمكان أن نشـيــر إلى أن هواجـس ومـغــامــرات الدوسـرى الجمـاليـة الشـعرية وجـدت المسئولين الذين يسكنهم الهم نفسه فى إعـادة كتـابة الوطن وحـياة الناس بفن ارتقـائي يقطع الدرب على عـدد غيـر قليل من مهـرجي المسـرح الذيـن أوقـعـوا الفن في مـغطس الركـاكـة وابتذال المعاني.

(*) مخرج عراقي مقيم بالإمارات .

أوبرا ابن سينا بكتابة الدوسري. وموسيقي الهولندي ميشيل بورتسلاب وإخراج الإيطالي أتيليو كولو نيللو، وديكور السوري أحمد معلا، وقائد الأوركسترا ديفيد كويشنزي، وبمشاركة عذوبة صوت رشا رزق السورية ولبانة قنطار، والعرافة حنان الجندي من مصر وجورج ونيس (مصري الأصل) الذى لعب دور ابن سينا، ورضا الوكيل (الملك) وعدد كبير من الشخصيات الأخرى، دون أن ننسى تصميم نوريا كاراسلو للأزياء، وتصميم الرقصات لأليسار كركلا.

ورغم أن الأوبرا ذات الخصوصية الأوربية المنبثقة من ثقافات وموروث الأوربيين، والتى تحولت في حياتهم إلى ما يشبه خبزهم الثقافي اليومي، لكن الإقبال الشديد الذي شهدته عروض ابن سينا في مدينة الدوحة، تؤكد أن العرب كانوا ومازالوا تواقين إلى هضم واستقبال الثقافات المتعددة الآتية من مجتمعات متنوعة تعطى لذلك التشابك بين الموروث القديم والحديث أهمية كبيرة في إعادة تكوين العالم ليتحول تحت خيمة الفن الطليعي إلى بيت أممي، شمولي، يقرب بين الناس على اختلاف ثقافاتهم ومرجعيات موروثهم، في توق أصيل لكسر ذلك الجمود المزمن في اللغات والمعايشات وتكوين مجتمعات مدنية بلمسات الفن الذي يتحول يومًا بعد يوم إلى الحوار الأكثر عمقًا ورهافة، بعدما أكد السياسيون والأيديولوجيون عقم وانسداد قدرتهم على تكوين مجتمعات آمنة.

أحمد الدوسري والمؤسسة الثقافية القطرية والمسئولون القطريون فتحوا الباب بقوة لتسريب تلك الأنوار الأوبرالية الباهرة، التى ستساعد في تكوين الأرضية الثقافية الخصبة لإنسان جديد.

الشمس تشرق من جديد

ميلاد حنا(*)

قدم لمنزلي سعادة سفير دولة قطر بالقاهرة محمد بن حمد آل خليفة، وقدم لي دعوة من الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني وزير الخارجية، وقد صار شخصية معروفة دوليًا وعربيًا من خلال تصريحاته المثيرة في قنوات التلفزيون المتعددة، ومازاد من دهشتي هو أن المناسبة هي الافتتاح الرسمي للمدينة التعليمية بالدوحة العاصمة.

ولأنني لم أزر دولة قطر من قبل، توكلت علي الله وسافرت لأتعرف عن قرب عما يجري في هذه الدولة الصغيرة عددًا والثرية اقتصادًا من منطلق أنها تعيش فوق كنز هو أكبر مستودع للغاز في العالم، فاكتسبت شهرة في مجال الطاقة النظيفة.

وقد بهرني مارأيت بالذات عندما حضرت حفل آخر أوبرا عربية مساء الأحد قبل الماضي فتداعت الذكريات لعلاقة الأمة العربية بالأوبرا وكانت المقارنة بين:

الأوبرا نتاج الحضارة الغربية تطورت وانتشرت في بلدان أوربا مع عصر النهضة، ومن إيطاليا تحديدًا، فقد استطاع المبدعون هناك أن يمزجوا في خلطة مسرحية مبنية أساسًا على قصة لها نص درامي متفرد بالأداء التمثيلي المتميز والذي ينسجم مع لحن موسيقي معبر عن تتالي المشاهد والأداء المسرحي ولذا يسمون الأوبرا الفن المسرحي المتكامل لأنه يشمل كل الفنون.

(*) مفكر مصري .

وجاء السياق التاريخي في أن كانت الأوبرا الإيطالية عايدة مرتبطة بقصة فرعونية، تم تأليفها بواسطة عالم المصريات مريت من واقع أساطير وقصص مرتبطة بدفاع فرعون مصر ضد هجمة لبلاد الكوش، ولقد جاء لفظ كوش عدة مرات في نصوص العهد القديم، ويعتقد بعض المؤرخين أن كوش معبرة عن كامل الفضاء الإفريقي جنوب مصر والتي تقلص مسطحها حتي صارت مقصورة على ما يسمى الآن السودان ولقد سمعت بهذا التوصيف من رؤيه جون جارنج عند زيارته لمصر عام1997 فقد رغب في أن يؤكد من خلالها أن هناك ارتباطًا في عمق التاريخ بين مصر والسودان، وأتمنى أن يستثمر المفكرون والمؤرخون المصريون هذا التوجه من جون جارنج بمزيد من البحث.

وتمتد الصلة بين الأوبرا الغربية من جانب وبين العالم العربي من جانب آخر، لنحو قرن وثلث. إذا كانت أوبرا عايدة التي كان عرضها الأول في القاهرة يوم 14 ديسمبر 1871 فإن خاتمة الأوبرا الأخيرة ابن سينا كان يوم الأحد 12 أكتوبر عام 2003 بمدينة الدوحة عاصمة دولة قطر، ومن هنا رغبت في أن أسرد لقراء الأهرام بعض المعلومات عن كل منهما.

يقيني هو أن الخديو إسماعيل ومن منطلق أنه صاحب المقولة الشهيرة: "سأعمل أن تكون مصر قطعة من أوربا"، وفي هذا الإطار رغب في إنشاء دار للأوبرا وتحققت رؤيته ببناء دار للأوبرا قرب حديقة الأزبكية وميدان العتبة الخضراء وكانا صره القاهرة وأرسل إلي أشهر مؤلف للأوبرا في عصره، وهو الإيطالي جوزي فيردي (1813 - 1901) طالبًا مساعدته في تحقيق هذه الأمنية وهي تأليف أوبرا تعرض بالقاهرة ولكنه اعتذر.

وعندما أطلع فيردي علي نص القصة التي ألفها ميريت ثم كان أن أجزل الخديو لفيردي العطاء، قبل فيردي القيام بهذا العمل الفريد الذي

خلد اسم فيردي، حتي صار اسمه مرتبطًا باسم أوبرا عايدة وغيرها.

وتتلخص قصة أوبرا عايدة في أن القوات الحبشية (في اعتقادي أنها قوات من كوش كما سبق القول) قد حاولت اختراق الحدود الجنوبية لمصر ولذا يقوم كبير كهنة مدينة منف باختيار راداميس الذي وافق لأنه سوف يفوز بزواج عايدة جارية اميزيس ابنة فرعون مصر التي كانت مولعة بهذا الشاب الطموح وتشارك وربما تنافس عايدة في حبه وتجري الاحتفالات بتنصيب راداميس قائدًا للجيش.

ولعل أقوى مشهد وأبدع لحن صارا خالدين، ما تجسد في استعراض النصر في موكب خرافي بديع، حيث يقف فرعون لاستعراض جيش راداميس، وبعده صفوف الأسرى من كوش، يتقدمهم رئيس القبيلة أموناصرو (وهو والد الجارية عايدة) وفي نشوة النصر يقدم فرعون ابنته لتكون زوجة للقائد المظفر راداميس، ولكن القائد لايفصح عن حبه للجارية عايدة ويطلب معونة الإله للخروج من هذا المطب.

تتوجه اميزيس ابنة فرعون إلى المعبد وفق التقاليد الفرعونية استعدادًا لزفافها من راداميس فتفاجأ بسماع حوار بين عايدة وأبيها يحرضها فيه على انتزاع بعض أسرار عسكرية من راداميس وفي نهاية الحوار تطلب عايدة من راداميس الهرب معها إلى بلاد كوش وفجاة تظهر ابنة فرعون لتفضح الموقف والخطة ويسود الارتباك!!

وتتوالى أحداث الأوبرا حول خيانة راداميس واحتمال الحكم عليه بالإعدام لخيانته، ويحاولون الضغط عليه للتراجع، وقمة المأساة في الفصل الأخير حيث يقسم المسرح إلي طابقين: في العلوي مراسم وطقوس دينية لتنفيذ حكم الإعدام وتدخل ابنة فرعون بثوب الحداد، وفي الطابق السفلي يرقد راداميس في القبر الذي سيدفن فيه، وتتسلل عايدة إلي القبر حيث يتبادلان كلمات الغرام لآخر لحظة من الحياة بين ألحان حزينة مشهورة لأهل وعشاق الأوبرا بعبارة وداعًا حياة الحزن

والبؤس، ويسدل الستار.

ومن هذا الملخص السريع يدرك القارئ الذي لم يشاهد الأوبرا (أو الذي شاهدها ولم يفهمها) كيف صارت أوبرا عايدة خالدة، ليس في مصر وحدها، وإنما في العالم. فهي معبرة عن قمة الانتصار في موكب النصر، وقمة المأساة في الموت والحزن المأساوي.

***

وإذا كانت أوبرا عايدة هي أول ماعرض في العالم العربي في مدينة القاهرة لمناسبة افتتاح قناة السويس عام 1869 (ولكنه تأخر لظروف فكان العرض الأول عام 1871) فقد سعدت بحضور العرض الأول لأوبرا ابن سينا في ساحة فسيحة عرفت بـ (قلعة الشقب) في موقع قريب من المدينه التعليمية (وهو مشروع مهم وكبير رغبت دولة قطر أن يكون له مسرحية علي شكل أوبرا اقتداء بأوبرا عايدة التي تم تأليفها وأداؤها لمناسبة افتتاح قناة السويس، ذلك أن المدينة التعليمية القطرية، قد ركزت على التقدم في العلوم والتكنولوجيا، كما سيأتي ذكره، ولذا اختاروا بذكاء الشخصية التراثية الإسلامية في مجال الطب والفلسفة.

وليأذن لي القارئ في أسطر قليلة لبعض المعلومات عن ابن سينا الذي ولد عام 370 هـ (980 م) وعاش في منطقه آسيا الوسطي، بدأت حياته في قرية أفشنه بالقرب من بخارى وذلك في الدولة السامانية، وفي عصر الملك نوح بن منصور، واسمه كاملاً الحسين بن عبدالله بن الحسن بن سينا وقد لقب بـ (الشيخ الرئيس) فظل لقرون طويلة شيخ الفلاسفة وإمام العلماء في مجال الطب والرياضيات والفيزياء والفلك وحتى في الموسيقى، قام بتاليف 450 مؤلفًا وصلنا منها 240 منها 150 في الفلسفة و 40 في الطب، ومعظمها كتب بالعربية وقليل بالفارسية، لأنه عاش في الرقعة الشرقية من الدولة العباسية وفي مرحلة الانقسام بين أمراء تلك المنطقة.

وكان العرض الأول لأوبرا ابن سينا باللغة الإنجليزية، ولأنني لم أقرأ النص باللغة العربية، أثرت وفي إطار ضيق الوقت أن أطلب من مها أبو العينين مسئوله العلاقات العامة لهذه الاحتفالية كلها، أن ألتقي بمؤلف هذه الأوبرا د. أحمد الدوسري، فوجدته من الشباب الصاعد الطموح من دولة قطر، وقد حصل على الدكتوراه من جامعة جينيف بسويسرا، وله مجموعات شعرية ونقدية بما كتبه عن أمل دنقل بعنوان (شاعر على خط النار) فضلاً عن أوبريتات غنائية تمتدح الدولة الصغيرة الفتية بعنوان (قطر المجد، قطر الخضراء) وكل ذلك شجعه على تأليف أوبرا ابن سينا تلبية واستجابة لرغبة أمير البلاد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، وبتأييد ومباركة من زوجة الأمير سمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند، وتكاد تكون هي الشخصية الثانية أو الثالثة في الدولة، وهي المحركة لمشروع الأمير الذي تبني أن يكون التعليم بأعلى مستوى في العالم، هو مشروع دولة قطر القومي وأنشأوا مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع لتنفيذ هذا الحلم.

أعود إلى حواري مع مؤلف الأوبرا د. الدوسري، لأسال، ولماذا اخترتم اللغة الإنجليزية لأداء العرض الأول، على الرغم من أنك ألفت النص الأصلي كاملاً باللغة العربية؟ أجاب: الملحن ميشيل بورتسلاب من هولندا، والمخرج أتيلو كولونيللو من إيطاليا والمغنية السبرانو من أيسلندا والمغنية التوميزو من هولندا، أما من مثل دور ابن سينا فهو بيرنارد لوتن من هولندا وغيرهم كثيرون، فلم يكن أمامنا إلا العرض بالإنجليزية فهي اللغة الوحيدة المشتركة بينهم.

ولذا قررنا أن يكون العرض القادم باللغة العربية ويشارك فيه من ينتمون إلى الوطن العربي بمن فيهم من مصريين.

إنني متطلع لأن أشاهد في مصر العرض لأوبرا ابن سينا، بعد أن تكون قد نضجت بعروض متعددة باللغة العربية، فمشاهدة الأوبرا وهي

فن غربي أوربي - كما سبق القول - سيتحول لأن يقبل مع حوار الحضارات باللغة العربية، وهو الأمر الذي جعلني أتفهم أوبرا عايدة مؤخرًا لأن اللواء سمير فرج مدير دار الأوبرا في مصر قد قرر أن تكون هناك لوحة للترجمة العربية مصاحبة للأداء، وهي التي وفرت لي تفهم وتذوق أوبرا عايدة.

وهذه المؤسسة التي صارت تعرف اختصارًا بعبارة مؤسسة قطر تقوم على حد نص عباراتها على أساس أن الإنسان هو أغلى ثروة للدولة، ولذا فهي تعمل جاهدة لضمان تأمين التنمية الكاملة للأجيال الحاضرة والقادمة عبر مجموعة من البرامج المتنوعة بعيدة المدى، من خلال هيئات وإدارات توفر التربية والعلوم وتنمية المجتمع.

وكان الهدف من دعوتنا لزيارة قطر وقد دعوا معظم وزراء التعليم العالي في العالم وكذلك مدير اليونيسكو في باريس، هو لحضور حفلات افتتاح عدة هيئات لها مبان رائعة وهي:

* مشروع واحة قطر للعلوم والتكنولوجيا وتشارك في تمويله شركة شل العالمية للغاز.

* كلية طب بمشاركة فاعلة وتامة مع جامعة كورنيل الأمريكية ذات الصيت العالمي

* مركز الدراسات التكنولوجية والصناعية بمشاركة فاعلة على جامعة تكساس الأمريكية.

وأخيرًا افتتاح المدينة التعليمية وهي مبان رائعة على مسطح كبير توفر كل مراحل التعليم من الابتدائي والإعدادي والثانوي والجامعة وقد كانت البداية لكل ذلك عام 1995 فهو مشروع دولة قطر القومي، ولذا تفهمت لماذا كل هذا الإعلام والإنفاق على الضيوف في احتفالات بافتتاح مراكز القمة الثلاثة التي أشرت إليها.

ومما أدهشني هو ما دار من حوار بيني وبين دبلوماسي رفيع المستوى

من أن د. أحمد زويل قد ذكر له أنه قد قبل أن يكون عضوًا في مركز واحة قطر للعلوم والتكنولوجيا، لأنهم قرروا بأن تعطى كل هذه المراكز البحثية الاستقلال التام عن البيروقراطية الحكومية ووفروا لها التمويل الكامل من خلال وقفيات، وأن ما يقرره مجلس الإدارة ينفذ دون الرجوع إلى جهة أعلى، لعل وعسى أن توافق مصر على إجراء مماثل، لكي نشد د. زويل إلي مشروعنا المصري بإنشاء مركز بحوث متميز.

ولقد سعدت أن قابلت د. محمد فتحي سعود العالم المصري في البيولوجي، وله هناك سنوات طويلة اكتسب خلالها ثقة الأمير والشيخة وقام بمشاركة آخرين بإجراء المباحثات مع جامعة كورنيل وجامعة تكساس للتأكد من أن خريجي جامعات قطر سيكونون علي ذات المستوي كما في أمريكا. ولكن ماتعجبت له هو أن James Thomson رئيس المؤسسة المشرف على العمل اليومي في هذه المراكز الجديدة، كان قلقًا لو أن كل هذه الأموال والتجهيزات رفيعة المستوى وكبار الأساتذة. تنفق على جهد مقصورًا على الطلبة من دولة قطر وحدها، لأنهم يتمنون لو أن عشرات وربما مئات من الطلبة في العالم العربي يقبلون على التعليم عندهم.

عدت من رحلة قطر، لكي أتمنى لو أن د. حسين كامل بهاء الدين ود.مفيد شهاب (وكان مدعوًا لهذه الاحتفالية ولكنه اعتذر) لو تمكنا من زيارة لهذه المدينة التعليمية ومراكز البحث، لعلنا نتعاون معهم في تنمية العلوم والتكنولوجيا في مصر ونصل إلى ذات المستوى، فالخامة المصرية لديها قابلية شديدة للتعليم.

شهادات خاصة

وليمة شرف على جوع أمل دنقل

إلـى الشـاعـر أحـمـــد الـدوسـري

قبل المحنة.. وما بعدها بسنوات مرة

شعر - عدنان الصائغ(*)

هو لم يدع غير أحلامه
الجنوبي
في مدخل الحلل
يسأله الحارس الفظّ عن اسمه
فيلوذ بمعطفه
والجنوب
غريبين بين الأغاني السريعة
والضحكة الماجنة
من رأى دنقلاً
ناحلاً في القصيدة
منكمشًا كالقميص البليل
على حبل أوجاعه المزمنة
من رأى أحمدًا..
يلف المطارات

(*) شاعر عراقي.

يبحث عن وطن
فيفاجؤه الشرطة الواقفون
على الحد
بين الندى المر
والسوسنة
- قف!
أيهذا المشرد
لا وطن
غير ما ترك الجند
فوق الرصيف
من البقع الداكنة

8 / 2 / 1993 م

قــراءات صـوريـة

مرايا الليل المنتظرة

إلى الشاعر د. أحمد الدوسري

د. صلاح القصب(*)

(1)

معارك قديمة تندفع إلى الوراء بين المياه العذبة والملح، تحتها الرمل المليء بالمحار غير مبال مَنْ منهما كان على خطأ، وكانت الأبواق النحاسية العازفة تنفجر بألحان تستدير على الرمال؛ لتناقش البحر كي يتعلم الراحة.

(شاعر ألماني)

(2)

كنت أحس بتجمعات ضباب البحر تعبر وجهي وهي تقتحم حقول الحصى، أيها المحيط الشجي أعد إليّ الجواب.

(3)

الأجراس تستريح بعد أن وصلت الشاطئ، وحول المنعطف سكب النهر فضته مثل نجم نادم يعطي ويعطي كل شيء، سألت النهر، ولم يقل النهر شيئاً.

(١) كاتب ومخرج وأكاديمي عراقي.

(4)

هدأ البـرق في داخلي، وفـي الظلمـة الخضـراء، وهَمٌّ كـان هناك مـثل حفيف الطيور يتجاوز النهر وينحدر دونما أثر.

(5)

شموع العيون والريح الوحشية التي تندفع تواصل حديثها الأبدي وكان هناك حشد من الجن ينظرون في المكان الذى زرعت فيه الموسيقى.

(6)

المرايا في هذا الليل تنتظر الوجوه كي تسمح لها بالمجيء.

(7)

في وجه المدينة البحري: الرمال ارتدت قبعات متهالكة، ونامت وفي منتصف الليل فرقة موسيقية تمر بموسيقى رائعة وأصوات.

(8)

في سنوات وجودها الكثيرة، المرايا القديمة مازالت واقفة هناك، وفي نفسها على ذاك الجمال.

(9)

همهمة الأصوات، عيون تدور تنقلها الخطوات التي تمضي وحيدة لا ترى شيئًا غير مصابيح متشققة الضوء.

(10)

الرياح المطليـة بالوهج عـادت غـريبـة الذاكـرة، وتلاشت في عـودتي المتأخرة.

(11)

في ابتهاجاتي المضيئة تعلمت كثيرًا من المطر.

(12)

المرات الطويلة والمهجورة، بتواضع تهب نفسها لضوء البروق.

(13)

النوافذ اللامعة تنزلق على زمان من شمس ومطر.

(14)

حين تشق العاصفة الصاعقة، تحتمي الغيوم داخل ضوء وردي.

(15)

الظلال المبللة ترقد الآن في سكون بارد على أرصفة الميناء ومعاطفها الثقيلة معلقة على الجدران.

(16)

صوت الموسيقى يقفز في الهواء وروحى مغطاة بشراشف وأغطية.

(17)

عجلات العربات القديمة تحدق في الأرض وخطوط حافاتها ترتجف لمّاعة بين تلك الظلال الراعشة.

(18)

عذرًا لأني قدمت جنوني بضعة أمتار

عن

موعده

لم يفرضني الرعد

حراثه

لأبدّد

هذا البرق عن أعشاب الأفق.

فسيفساء الدوحة والطيف الشمسي

عادل طاهر (*)

هيلي يا الله هو يا الله
صباح البحار
تعطر شمل الدروب
صباح الرحيق المفجّر
بكل القلوب
صباح الصبايا
يفتّحن لون المرايا
يزدن النسيم المهيل
مِسكًا وكوثر
صباحك عود وعنبر
صباحك فجر مقطّر
هيلي يا الله هو ياالله

بهذه الكلمات الشفافة التي كتبها الدكتور الشاعر أحمد الدوسري وصاغ ألحانها الفنان محمد المرزوقي، افتتح نبع الثقافة العريقة للحضارة الأصيلة.

وصبية جميلة رشيقة تفتح ألوان المرايا، لنرى قوس قزح بحري يعطر شمل الدروب ويفجّر ينابيع الرحيق من أكمام الورد الذي توشحت به

(*) كاتب عراقي.

دوحة الثقافة في مهرجانها الفسيفسائي المهيل: فعلاً وزاده المسك والعود والكوثر والعنبر عبق الحب من قلوب تنثر الحب ندى في النفوس والوجدان والضمائر.

هيلي يا الله هو يا الله.. بداية الرحلة إلى حيث اللؤلؤ والياقوت والأحلام بالدانة، دانة الفكر والثقافة والفنون والحضارة العريقة التي جمعت هذا الحشد الهائل من ضيوف الكلمة والفرشاة والأنغام المتجذرة في عمق تاريخ العرب والإنسانية.

إنها الـ«دانة» العربية التي عادت بها الدوحة من عمق مياه الخليج لتنير وجه الأرض بلوحة خطتها الأيادي التي تحلم بالنور الدافئ الذي يحتضن القلوب المرتجفة.

مهرجان الدوحة هذه اللوحة الفريدة التي جمعت ولأول مرة في الوطن العربي كل هذه الأطياف والألوان في كرنفال ثقافي فني لم يجتمع مثله.

أنْ تقيم مدينة مهرجانًا للشعر، نعم.. للأدب نعم، للفنون نعم، للرياضة نعم، للموسيقى نعم، ولكن أن تجمع كل هذه الفنون والآداب والثقافات وبهذا الحجم الكبير فهذا شيء نادر في المدن الأخرى.

لقد التقى أصحاب الكلمة والمشاعر والعقول والفن والحناجر، وكأننا في عالم واحد، عالم يرسم لوحة المحبة للإنسان وينثر عبق الدوحة تلك الوردة الصدفة التي تفتحت وسط زرقة البحر وكف النوخذة السنية تلوح بها وهي حبلى باللؤلؤ والمرجان والـ«دانة» الملونة المبهرة، كأنها الشعلة الأولمبية.

نودعك يا دوحة الخير والمحبة، يا لؤلؤة البحر الحالمة، وقلوبنا العاشقة تهتف من بحر الشوق.. إلى اللقاء أيتها الحبيبة فأنت في القلوب دائمًا، فلقد جمعت قلادة الحب، وها هي تنثر حبّاتها في الأرجاء، لكنها مجتمعة..

حول أحمد الدوسري
Sur Ahmad Al Dosari
سيلفيان دوبوى(*)
Sylviane Dupuis

استحضار اسم أحمد الدوسري لا يعنى سوى كلمة واحدة: الكرم.

ذلك الكرم الذى لا يُعنى بالحسابات، الذى لا ينتظر شيئًا آخر مقابل ما يمنحه سوى لقاء القلوب والأرواح، أو «التقدم الإنسانى» بكل معانى الكلمة.

أعرف أن أحمد الدوسري منذ حوالى عشر سنوات شاعر منفي فى جنيف، كان أول ما فعله آنذاك عندما تعلم الفرنسية على نحو لا بأس به أن بدأ بالبحث عن لقاء مع شاعر من بلده الجديد (سويسرا) لكى يترجمه إلى العربية.

كنت ذلك الشاعر أو الشاعرة المحظوظة: إذ كان قد عثر على واحد من كتبى فى إحدى المكتبات، وأعجب به.

أحمد اتصل بى فى أحد الأيام لكى يقول لى بأنه قد شرع بالفعل بترجمة شعرى إلى اللغة العربية، وبأنه يتمنى لقائى. سوف لن أنسى أبدًا ذلك اللقاء الأول، والذى كنت فيه آنذاك بعيدة جدًا عن تصور مدى نتائجه؟

بيد أننى علمت فى ذلك اليوم، وازداد يقينى على مرّ السنوات التالية، بأن الشاعر فى العالم الغربى الراهن ليس له نفس المعنى فى العالم العربى. فمن ناحية، إننا بالكاد نجرؤ فى الغرب على تقديم

(*) شاعرة وكاتبة مسرحية سويسرية.

أنفسنا كشعراء؛ خوفًا من أن نُضحك الآخرين منًّا؛ (لأننا إما روائيون أو لا شيء). ومن ناحية أخرى، فإن هذا الوضع (سواء بالنسبة للرجل أو للمرأة) يجلب لك مسبقًا، وفى الوقت نفسه: الفضول والاحترام.

أحمد (والذى تعلم بسرعة هائلة وكان مثابرًا على نحو محموم) أتقن تمامًا وبسرعة اللغة الفرنسية، وشرع فى ترجمة كامل مجموعاتى الشعرية، الواحدة بعد الأخرى.

وعلى الفور، كانت الصداقة قد ربطتنا، وأعتقد كذلك التقدير والاحترام المتبادل، والذى كانت تعزّزه كل محادثة لاحقة بيننا. وغالبًا ما كانت هذه المحادثات طويلة وحية. كنًّا نتحدث عن كل شىء: عن ثقافتينا المختلفتين، عن السياسة، عن التاريخ، عن الدين، عن الشعر، أو عن المنفى والذى كان يثقل كاهله تمامًا، والذى كنت أعيش تجربته من خلال أحمد.

كنت ألاحظ أن كرم أحمد الدوسري لم يكن يكمن فقط فيما يجود به من وقته، من عمله، من موهبته ومن معرفته بالشعر العربى الكلاسيكى والحديث (والذى كرس له أطروحة دكتوراة فى جامعة جنيف)، أو استثمار صيته الشخصي، كشاعر وكاتب وصحافى، من أجل خدمة نتاجات الآخر، والذى يبدو لى لا يوجد إلا نادرًا، حتى بين أوساط الشعراء، أو فوق كل ذلك حبه لإسعاد أو خدمة أصدقائه (بما فى ذلك على الصعيد المادى)، لكن هذا الكرم كان يكمن أيضًا، ضمن التبادل الفكرى، فى إثبات انفتاحه تجاه الآخر، والذى لم أتوقف عن عشقه فى شخصه، إذ لم يكن يبحث أبدًا عن الحكم على هذا الآخر ولكن عن معرفته، وعن التقدم نحو التبادل والفهم المشترك، مع نوع من حسن الظن بالآخر، والذى لم تستطع الخيانات التى تعرّض لها من قبل البعض اقتلاعه من أعماق أحمد.

أحمد الدوسري، لكى يكون سعيدًا فهو بحاجة لإسعاد الآخرين،

ويبدو لى بأنه يؤمن على نحو عميق، بجمال أو العظمة الممكنة للكائن الإنسانى.

وفى هذا بالضبط وبعمق يتجلى شاعرًا.

هذا التلازم بين ما هو كائن وما يدافع عنه يشكّل قوته - لكن إحباطات الحياة هائلة والتى كانت قد أصابته بقسوة فى الصميم: لم تستطع هذه الإحباطات حتى يومنا هذا أن تقضى على هذا النوع من الإيمان الذى يمتلكه ويحمله على الدوام.

هو وزوجته أصبحا بالنسبة لى صديقين حميمين.

وإذ كنا سعداء بسبب المقالات التى ظهرت حول كتابنا فى العالم العربى كافة، شرع أحمد ضمن مشروعه التأسيسي (بالتعاون مع ناشري ومعى شخصيّا) بترجمة أول أنطولوجيا للشعر السويسرى الفرنكفونى المعاصر، والتى صدرت حديثًا فى القاهرة، بدعم من مؤسسة بروهلفسيا ومدينة جنيف. هل هى آخر الهدايا؟ أم وداع لسويسرا التى غادرها للتو من جديد، إذ لم يجد فيها بعد إنجاز أطروحة الدكتوراة الأجواء الجديرة بكفاءته؟

أتمنى أن تكون مرحلة جديدة لحوار وصداقة لا ينتهيان أبدًا.

جنيف - سويسرا.
أغسطس - 2003.

شاعر قطر المجد

طه حسين(*)

لم أعرف الشاعر أحمد الدوسري قبل أوبريت " قطر المجد" تلك السيرة الشاعرية لتاريخ قطر وحضارتها، التي سطرها الشاعر الدكتور أحمد حسين الدوسري بقلبه وليس بالقلم.

سيرة يعالج فيها الدوسري في دراما سيناريو رفيع المستوى، علاقة البحر بالناس عبر التاريخ الحديث والمعاصر لقطر. واكتشفت فيما بعد أن البحر والأرق مفردة رئيسية في أعمال الشاعر أحمد حسين الدوسري.

وأراني أفضل ذكر اسمه هكذا، ربما لوجود شقيق لي اسمه أحمد ومرهف الحس أيضًا مثل: أحمد حسين الدوسري لكنه ليس شاعرًا!

واستطاع الدوسري أن يخرج كلمات الأوبريت من بين أصابعه ملحمة وطنية تحكي مسيرة قطر، نحو التقدم والازدهار من خلال قصة السندباد بطل الأوبريت وزوجته مريم، هذا السندباد الذي كان لزامًا عليه أن يسافر ويشق البحار بحثًا عن التجارة في رحلات محفوفة بالمخاطر، فهو في كل مرة يسافر فيها تقيم له مريم وداعًا مهولاً، وتستقبله حين يعود كالمولود. إنها لوحة معاناة استطاع الدوسري أن يجسدها في أشعار رائعة متأثرًا بشخصية السندباد والنوخذة نجدي الذي جاب البحار طولاً وعرضًا ثم قتله البحر، وكان الدوسري هو الذي

(*) صحفي مصري.

أرشد خفر السواحل على جثته!

واستطاع الشاعر أحمد حسين الدوسري أن يجسد لوعة الفراق وفرحة اللقاء، ولحظات الفخر بالوطن "وطن العلا وطن الشموخ" وجاء الأوبريت صورة صادقة نابعة من القلب، ووصلت إلى القلب. لنبدأ فيما بعد نتساءل عن أحمد الدوسري، ولنكتشف كمّاً هائلاً من المشاعر والأحاسيس الدافئة تختزنها كلمات أعماله الشعرية.

لكن يبقى قطر المجد هو اللوحة التي تعرّفنا منها على بقية ما لدى الدوسري من مقتنيات ثمينة لجملة من المشاعر والأحاسيس.

أحمد الدوسري ....
شاعراً .... إنساناً وقلباً خاشعاً بالفزع

عبد العزيز الدوسري

حين تتخضّب الكتابة بسيّرة الشاعر أحمد الدوسري، فالحتمية تسيرنا نحو بلوغ قلبه الذي آوى الحزن منذ الطفولة.

فالدوسري، كوكب دريّ من قلب نابض بالروح المتألمة، طفل تعلم الحقيقة مبكرًا، واصطلى بوعي أبكر بأن الوطن خراب، وأن الكتابة منفى، وأن الشعر غلو في العذوبة والقسوة معًا.

هنا لست شقيقه الأصغر، هنا صديقه الذي غاص في أعماق قلبه أكثر من أربعة شهور في زنازين المعتقلات العربية (اعتقل إبان غزو الكويت عام 1990، ومكث في مديرية البصرة لأكثر من أربعة أشهر خرج بعدها حرًا، لكنه نسي بعضًا من قلبه هناك في الزنزانة الرطبة)، وظهر شعر الدوسري جليًا.

كان يدلل على قلوبنا بشعره، كانت قصائده التي ينحتها في رؤوسنا المبللة بالرطوبة، مثل نسيم صباحي صادق.

القصيدة عند الدوسري وطن يتشكل في جميع الاتجاهات، والبيت لديه حقبة من عمره الخام، الذي خانه في زمن المنفى، والكلمة لديه مضبطة.

الدوسري يعيش قلق العروبة، وهواجس اللغة، وأحلام الوطن المخبأ فقط في أحلامنا، لا يعيش في واقع أبلى في تيهه بلاء منقطع المصير.

في كل بيت من شعره صور شعرية تنقل المتلقي إلى فضاءات

الدوسري الغائرة في القلوب، كل بيت فيها، صور تتشكل حسب الرغبة، مانحة المتلقي كل الاختيار، في تشكيل متواصل من أبهة اللغة، لا يأبه كثيرًا بفرحه، لكنه دائمًا ما يدوّن حزنه في كل جلسة.

شاعر في كل الوقت، فروحه شعرية بالفطرة، وغذاء روحه بحور الشعر الممتدة، أحب الشعر فمنحه قلبه بكلّ عاديات الزمن، فقصره الورديّ منحوت من قصب السبق ولؤلؤ الفرادة.

القلق عند الدوسري هو ما يحرك رحيله، في كل قصيدة هاجس الخوف من القادم، في كل ركن من القصيدة، احتجاج على الواقع، في كل زاوية تأخذ القصيدة عنده شكل المطر الهاطل بلا هوادة، ورغم أن البعض يرى أن الدوسري مساحة غيوم وغموض، لكن إن تمعنت في شعره وجدته شعرًا خالصًا مطيّبًا بطلاوة الروح ومضرجًا بماضيه الشخصي والوطني، وتعلقه بجده الذي دائمًا ما يحمل صوره القديمة في ترحاله عبر طائرات 747 الجديدة.

ولشعر الدوسري ملامح تدلّ عليه : الوطن، الآلام، الغربة، جده الغائب، وروحه التي تتوق للعودة إلى الطفولة المعلقة بباب البحر، إنه بامتلاء: شاعر يعشق ملح البحر.

حتى في منحاه الآخر، وأعني أعماله الروائية والقصصية والفنية، تجد الشعرية هي الإطار الذي يلف التفاصيل كافة، إذ يأبى الشعر إلا أن يقتحم عليه وعيه، فالقصيدة لزوم ما يلزم، تلبّسته عن ظهر قلب، فهي الأوكسجين الذي يفوح عن هيام الشعر الذي ينتصر دائمًا على حزنه.

في كل قصائد الدوسري منذ القصائد الأولى التي رسمها أيام طفولته وحتى مجلداته الشعرية الأخيرة، يظل باحثًا عن الوطن، فما أقسى أن يجد الشاعر نفسه معلقًا بين السماء والرماد، دون أن تمنح له الفرصة لكي يهبط على الأرض، كل هذا والروح محاطة بالبحر من كل جانب.

والوطن الواقع ليس كالوطن الحلم، فالأول مساحة مسيّجة برجال الأمن والحرس والقوانين:

أطلتُ الإقامة في بلدي
هل تمنحوني فيزا ليومين؟

وحتى حينما عبق شعره أخيرًا بالصوفية الممزوجة بالنسيانية، ظل وفيًا للحرقة التي تبحث عن وطن، ظل يفاخر بالرماد أكثر من حزنه، فالرجال البحارة حينما يبللون بالرماد، لا يقوون على العودة إلى الوطن، فيفضلون البقاء فوق نصب تذكارية في عرض البحر.

إن الحديث عن الدوسري شاعرًا، يعني الحديث عن سنين قلبه، منذ مرحلة الشعر الأولى ومرورًا بشعر الجاهلية الثانية، وحتى انكفائه على شعر الحزن المخزون بثيابه الجديدة.

في هذه المشهدية القصيرة أستكشف الدوسري شاعرًا فقط، لعلّني أصل إلى قلبه المفعم بالكلمات، والخانات الفوضوية.

لكن الأهم من هذا وذاك باعتقادي، أن الدوسري يبقى هو نفسه وسيرة حياته قيمة أكبر من القصيدة، وأبلغ من الوطن وأكثر بيانًا من الحزن، وأجمل من الليل، وأنصع من المنفى.

خطوة متعجلة.. أم رغبة فى توثيق ما كان؟

الدكتور أحمد الدوسري يصدر ثلاثة كتب دفعة واحدة

حسن توفيق (*)

الفرح شحيح فى زماننا، لكن كل إنسان منا يحاول أن يبحث عنه حتى لا يقهره الحزن. فيما يتعلق بى، فإنى أفرح حين أشترى كتابًا جديدًا أو حين يهدينى أحد أصدقائى أحدث ما أصدره، وهذا ما كان منذ عدة أيام عندما زارنى الصديق الشاعر على ناصر كنانة، حاملاً معه ثلاثة كتب، قال إنها مهداة لى من الدكتور أحمد الدوسري، الذى كان يتهيأ لزيارتى، لولا ما صادفه من شواغل عاقته عن الزيارة.

لم يكن استقبالى لهذه الكتب الثلاثة بالفرح الخالص المصفّى، وإنما استقبلتها بفرح فيه قدر من الحذر، حيث تساءلت عن الدافع الذى يدفع كاتبًا لأن يصدر ثلاثة كتب دفعة واحدة؟... ولابد هنا أن أعود لأتذكر واقعتين قديمتين وشخصيتين، تتمثل الأولى فى أنى كنت أزور أستاذى الشاعر الدكتور كمال نشأت، أيام أن كنت طالبًا جامعيًا، وحين سألنى عن أخبارى، قلت له: إنى قد سعدت بلقاء الناقد الكبير أنور المعداوى فى مجلة المجلة، وسلمته قصيدتين لى لنشرهما، على الفور قال أستاذى: كان عليك أن تسلمه قصيدة واحدة لا اثنتين، وأضاف شارحًا: لا تدع قصيدتين من شعرك تتنافسان فى جهة نشر واحدة. أما الواقعة الثانية: فقد شهدتها الدوحة، أيام أن كان الكاتب الكبير كامل زهيرى مديرًا لتحرير الراية، حيث قال لى بطريقته العذبة: لقد قرأت لك اليوم مقالين

(*) شاعر مصري مقيم بدولة قطر.

فى عدد واحد، وقد أعجبت بهما، لكن كان لابد أن تدخر أحدهما لعدد تال، حتى لا يقول القراء إن هذا المقال أفضل من ذاك أو العكس.

ومنذ فترة قريبة أهدانى الصديق الشاعر سنان المسلمانى كتابيه الجميلين مزن وسحائب الروح فما كان منى إلا أن ضحكت، وأنا أروى له الواقعتين القديمتين والشخصيتين، ثم طلبت منه ألا يهدى الأصدقاء فى الصحافة والإعلام سوى كتاب واحد، وبعد أن يكتب من يود الكتابة منهم عن هذا الكتاب، فإنهم سيجدون الكتاب الثانى قد تجلى لهم.

من هذا المنطلق، كان فرحى بالكتب الثلاثة التى أصدرها الدكتور أحمد الدوسري فرحًا فيه قدر من الحذر، لأن إصدار هذه الكتب الثلاثة دفعة واحدة، ومن خلال ناشر واحد يمثل خطوة متعجلة أو يشي برغبة فى توثيق ما كان تائهًا أوضائعًا من كتابات، مضت على كتابتها عدة سنوات.

الكتب الثلاثة التى أصدرها الدكتور أحمد الدوسري عن مركز الحضارة العربية بالقاهرة: هى أنطولوجيا الشعر السويسرى الحديث ترجمة وتقديم، ومستحيل الكتابة أو 120 ٪.. ذاكرة! وطبقات التعساء - لابن خربة - السيرة الشعرية الكاملة. وبطبيعة الحال - فإنى لم أستطع قراءة هذه الكتب الثلاثة قراءة متمهلة، وإنما قرأتها قراءة متعجلة، ورغم هذا التعجل فإنى اكتشفت فى ثناياها ما أسعدنى.. وما أدهشنى.. وما أحنقنى!

ما أحنقنى - ودون دخول فى تفاصيل أو أمثلة - هو وجود أخطاء مطبعية عديدة، كان يمكن بالتأنى تلافيها ففى التأنى السلامة كما يقولون.

أما ما أدهشنى فيتمثل فى هذا التداخل بين كتاب أنطولوجيا الشعر السويسرى الحديث، ومستحيل الكتابة، وهو تداخل قد يكون مبررًا وقد يكون غير ذلك، فإذا كان هذا الكتاب مخصصًا لموضوع محدد، فإن

الكتاب الثانى يتشعب فى موضوعاته، ومن بينها الشعر السويسرى الحديث، بل إن من المدهش حقًا أن المقدمة التى كتبها الدكتور أحمد الدوسري لكتاب أنطولوجيا الشعر السويسرى الحديث لا تتجاوز ثلاثًا وعشرين صفحة (من ص 5 إلى ص 29) بينما يضم الكتاب المتشعب فى موضوعاته، مستحيل الكتابة، دراسات عن الشعر السويسرى، هى: سليفيان دويوى.. تمشى عكس الأرض، وهل السويسرى موريس شاباز شاعر عربى؟! وجوزيه - فلوغ تابى. وتشغل هذه الدراسات ستًا وثلاثين صفحة، وهى تكرار لمقدمة الكتاب الأول، أو أن المقدمة هى تكرار لها، نظرًا لأن الدراسات كانت قد نشرت منفصلة قبل أن يضمها الكتاب، وهذا ما يتبين حين يقول الدكتور أحمد الدوسري ص 83 من الكتاب الثانى (استمرارًا لما كنت قد بدأته منذ سنوات عدة فى تقديم الشعر السويسرى الحديث للقارئ العربى، خاصة بعد النجاح الطيب الذى حققته ترجمات لشعراء مثل: سيلفيان دويوى، وموريس شاباز فإننى أقدم هذه المرة شاعرة سويسرية تحظى بتقدير جيد فى الأوساط الأدبية والنقدية هنا).

أشرت إلى ما أحنقنى.. وما أدهشنى.. وأشير الآن إلى ما أسعدنى، متمثلاً فى كتاب طبقات التعساء لابن خرية - السيرة الشعبية الكاملة، ويبدو لى أن الدكتور أحمد الدوسري أراد أن يعارض عنوان الكتاب التراثى الشهير طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى، ولكن بطريقة ساخرة، ربما تذكرنا بما كان من طبقات للشعراء فيما مضى، وبما أصبح لدينا الآن من طبقات للتعساء.

قبل أن أقرأ الكتاب، رجحت أن يكون ابن خرية هو الدكتور أحمد الدوسري نفسه أو أن يكون معبرًا عنه إلى درجة التمازج الشديد، وحين بدأت القراءة، واجهتنى مقدمة جميلة كتبها الشاعر الدكتور عبدالعزيز المقالح، وتأكدت منها أنه قد تساءل - هو أيضًا - عمن يكون ابن خرية

وأترك الدكتور عبدالعزيز المقالح يفسر الأمر: السؤال الأول الذى تطرحه هذه السيرة الشعرية على قارئها هو: من تُرى يكون ابن خرية صاحب هذه الطبقات، وما علاقته بالشاعر والروائى أحمد الدوسري؟ وأعترف أنى حاولت منذ عامين، أى منذ قرأت الجزء الأول من هذه السيرة أن أجتهد شعريًا - فى التعريف به - أى بصاحب الطبقات الذى يشبه أحمد الدوسري فى كل شىء.

رغم أن الدكتور أحمد الدوسري - على ما يبدو - قد خطا خطوة متعجلة بإصداره ثلاثة كتب من خلال ناشر واحد ودفعة واحدة، إلا أنى أود أن أتوقف وقفة ليست متعجلة، وإنما متمهلة تجاه كل منها، ولكن فيما بعد.

حوار حول التجربة

طـه حسين
غازي الذيبة
أشرف العوضي

ما قبل البوح

عندما شرعت في إعداد هذا الكتاب لم يكن مخططًا أن يوجد حوارات من أي نوع مع الشاعر، حتى ننأى بنفسنا عن الذاتية المفرطة التي من الممكن أن يتحدث بها شخص عن نفسه مهما كان موضوعيًا وكنت أوثر أن أترك الحديث للنقاد والأدباء الذين رافقوا أحمد الدوسري في مسيرته الأدبية والشعرية فهم أصدق الناس في التعبير عن ذلك وربما يضعون أيديهم على أشياء لا يعلمها المبدع نفسه ولكن لأنه ليس كل ما يعتقده المرء صحيحًا فقد ألقت إلى الصدف السعيدة بحوار لم يكن معدًا له من قبل. حوار كان البوح فيه هو سيد اللحظة. بعيد كل البعد عن الرسمية الشديدة متجرد من الكلام الفخم الذي يتخلل كلام المثقفين حينما يتحدثون. باختصار حتى لا أطيل: حوار ليس من القلب إلى القلب كما يقولون، بل من القلب إلى ثلاثة قلوب محبة متآلفة.

وذلك أنه ذات مساء جميل كان موعدنا بأحد مطاعم مدينة الدوحة القطرية الذي يطل على مياه الخليج حيث يصلك رذاذه؛ فيذكرك

بأنشودة السياب العظيمة: غريب على الخليج. كنّا: الصحفي طه حسين، والشاعر غازي الذيبة، والدكتور أحمد الدوسري، وكاتب هذه السطور، لا يجمعنا سوى الصداقة والهمّ الواحد.

وبعد أن أغلق المطعم أبوابه عند الواحد صباحًا، وجدنا أنفسنا أسرى لهذا المنظر الساحر حين كانت أشعة القمر يوم تمامه تضرب برفق مياه الخليج الداكنة فتكون سحرًا وبهاء لا ينبغى إلا لشعراء وأدباء وأصحاب قلوب متوجعة أن يتولهوا في أسراره النائية..

وفى لحظة من اللحظات النادرة ترك الجميع أعباء المنزل واتصالات الزوجات التي تحث على العودة مبكرًا؛ لنجلس أربعتنا أرضًا بعد أن غاصت أقدامنا في مياه الخليج التي أججت فينا شعورًا ما بالبوح ولأن ثلاثتنا صحفيون تجرى في دمائنا فيروسات الفضول فقد حاصرنا الدوسري بأسئلتنا عنه، وعن حياته، وعن شعره، وعن منفاه الاختياري، وعن أسره في سجون صدام، وعن أحلامه ورؤاه لقادم الأيام، فتحدث كما لم يتحدث من قبل، وحكى ما لم يحكه آنفًا، وكان هذا الحوار الذي استطاع زميلنا طه حسين أن يسجله بعد تفريغه من الكاسيت، في خلسة من الشاعر، وبمعرفة خبيثة منى، وغازى الذيبة.

اشرف

.. نبدأ بالبدايات الأولى للكتابة، والإمساك على الجمرة الأولى في الإبداع. متى كانت هذه اللحظة؟

– هذه اللحظات تتراءى لي كأنها سحيقة في الزمن، لكنها بدأت في الطفولة وبشكل باكر جدًا حتى أستطيع أن أقول في مرحلة رياض الأطفال عندما كان عمري ثلاث سنوات، وانتظمت لأول مرة في حياتي ضمن تجمع إنساني داخل صف من الصفوف. كان هذا بالنسبة لي شيئًا غريبًا؛ لأننا كنا مجتمع البداوة المقيم. فبدأت باكرًا، وكانت شخصيتي

انطوائية تميل إلى عمل تشكيلات فنية من الطين، تعكس هذه الانطوائية ولاحقًا في المدرسة الابتدائية كان الرسم جزءًا من تجربتي، وهو التجلي الأول للفن داخلي من خلال الرسم، واستمر معي حتى المرحلة الجامعية. وأذكر أنني في المرحلة المتوسطة والثانوية كنت أخرج إلى الشارع لأرسم لوحات فنية، وأحصل على إعفاء من حصص كثيرة حتى أرسم لوحات في الشوارع، وكان مدرس التربية الفنية يعجب من دقة وعدم ارتجاف أصابعي في الزوايا الدقيقة جدًا، لكن الشعر ولأسباب لغوية اجتاحني فجأة؛ وكان سبب هذا أن جدتي - رحمة الله عليها - كانت شاعرة، وكانت لا تتحدث إلا بالشعر، وترد على أسئلة الناس بالشعر، ويبدو أن هذه النشأة شكلت المخزون اللغوي لدي من الأمثال والحكم والشعر، إضافة إلى أن جدي قبل أن يتوفى في 1 يناير 1974 كان أيضًا حريصًا على أن يشتري السير الشعبية والملاحم الشعرية، وكان يطلب مني قراءتها، لينمي لدي شيئًا معينًا دون الاقتصار على قراءتها، وهذا كله جعلني أتشبع باللغة إضافة إلى القرآن الذي حفظته صغيرًا. ويجب ألا ننسى أن الشعر جزء من مجتمعنا وجلساتنا، وكانت صورة الشاعر غير الفنان التشكيلي الذي لم يكن له حضور في المجتمع آنذاك، لكن الشاعر هو الفارس الذي تفتح له المجالس. ومن هنا كانت البدايات الشعرية مبكرة لدي في العاشرة من عمري، وربما قبل ذلك بقليل، وأذكر أنني في أحد المجالس التي كانت تخصص للشعر الشعبي بصفة أساسية، ألقيت قصيدة مطلعها (البارحة مع كثر الهواجيس... مرني في مرقدي لاهوب) وقلت هذه القصيدة وأنا في العاشرة، وتحمّس لها الحضور، وبشّروني بأنني سأكون شاعرًا. وكنت أكتب الفصحى لكنها لم تكن تقدَّر في مجالس الشعر الشعبي.

والغريب أن الشعر الشعبي والفصيح في منطقة الفحيحيل التي ولدت فيها بالكويت هي منطقة غريبة جدًا فأهلها أهل بحر وأهل بداوة.

امتزجت فيها الصحراء والبحر، بحيث عندما تأتي في القارب من عمق البحر وتقترب من الشاطئ ترى الصحراء أمامك، ولا توسط بين الحالتين البحر والصحراء، وكأن الصحراء منحتني الشعر الشعبي، والبحر منحني الشعر الفصيح، وهذا انعكس فيما بعد على نفسيتي. وتظهر الصحراء والبحر دائمًا في السندباد كما يظهر اللون الأزرق كثيرًا في الشعر وفي ألواني، حتى قلمي وهاتفي: لونهما أزرق؛ لأننا عندما كنا نذهب إلى عمق البحر لم نكن نرى إلا الأزرق، في البحر والسماء فينطبق الأزرق على الأزرق. وكان لديّ قارب خاص أدخل به بعيدًا في البحر.

.. ألم يجعلك هذا تربط بين الأزرق بفكرته الفلسفية والأزرق الذي كنت تبصره في الأشياء؟

- الأزرق بالنسبة لي كان عبارة عن المجهول والسديم، وأذكر أنه كانت هناك شخصية آسرة لي جدًا هي السندباد، وكان أحد الرحالة الذين زاروا الكويت في العقد الثالث من الثلاثينيات من القرن الماضي وكان استراليًا، وكان يوجد في الكويت نوخذة شهير اسمه نجدي كان بارعًا يذهب البحر بلا بوصلة ويذهب إلى الهند، ويسخر ممن يصطحبون البوصلة معهم في البحر وكان يقول: أنا حفيد أحمد بن ماجد، وسليل السندباد. وذهب بالبحارة الأسترالي من الكويت إلى سواحل الهند بلا بوصلة أو أي شيء وكان من شدة معرفته بالاتجاهات، يعجب منه البحارة الأسترالي وكتب كتابًا اسمه السندباد، يسرد فيه حكايات النوخذة نجدي. كنت مأسورًا بهذا النوخذة وبهذا السندباد، وإذا بالأيام تدور وكنت في رحلة بحرية، وعند عودتي شاهدت جثة طافية على سطح الماء، وعندما اقتربت منها وجدتها لرجل توفي قبل يوم، وذهبت إلى خفر السواحل وأخبرتهم ليخرجوا الجثة، وإذا بي في اليوم الثاني أقرأ خبرًا تتناقله الصحف هو وفاة النوخذة نجدي غرقًا. فهذا الشخص الذي جال البحار

قتله البحر عندما شاخ في نزهة صيد سمك وهو الذي كان يجوب الآفاق بحرًا ويتوغل بلا بوصلة في أعماقه، هذه القصة أثّرت عليّ كثيرًا وجعلت علاقتي بالبحر علاقة غير آمنة وليست علاقة صديق بصديقه.

.. وماذا عن التطور في القراءات؟

– في البداية: وجهني بعض أساتذة اللغة العربية بدءًا في المرحلة الابتدائية مرورًا بالمتوسطة، وقراءاتي تمحورت حول السِّير ودواوين الشعر، لكن هناك شخصية أحدثت انعطافه داخلية وجعلتني أفكر كثيرًا وأتأمل في هذا العالم، هي شخصية المهاتما غاندي عندما قرأت قصة حياته، وقصة اللاعنف ومن خلال هذين الكتابين، تكون أول وعي لي في هذا الكون فكنت بعد قراءاتهما أذهب متوحدًا إلى ساحل البحر وأجلس بالساعات متأملاً فقط حتى يأتي الغروب، وأشاهد الشمس تنطبق وتغوص عميقًا في البحر، ويأتي الليل وأنا على البحر وعندما أتذكر هذه الأيام أقول: ما كان أشد صبري في الجلوس وحيدًا في هذه الأماكن الموحشة التي كنت أختار الأبعد منها لأجلس فيها وحيدًا. وتنوعت القراءات ما بين الشعر والمسرح وكافة الأمور، وأذكر أن واحدة من مسرحيات شكسبير كنت أتقمص دور البطل، وكان عطيل وإذا بالوالد ومعه الوالدة يفتح الباب، فقال لها: «قلت لك ابنك صار مجنون» وكان هذا في المرحلة الابتدائية، ولما دخلت المرحلة المتوسطة، وتحديدًا في الثانوية أصبحت شاعر المدرسة، أحيي مناسبات التخرج، والإذاعة المدرسية، وكل هذا أعطاني لونًا من الثقة بالنفس، والانتشار لدرجة أن لدي أشرطة نادرة عن هذه المرحلة وأذكر أني كنت أشارك في برنامج خالد الحريان مع الطلبة وكنت أمثل المدرسة في هذا البرنامج بإلقاء القصائد. كما كنت أذهب مع عمّي للإذاعة والتلفزيون فتكون لدّي الحسّ الإعلامي مبكرًا وكان عمّي واحدًا من أوائل الإعلاميين في

الكويت، والذي أسس نقابة الإعلاميين في الكويت وبقي بها أكثر من 25 سنة رئيسًا لها ونائبًا لرئيس الاتحاد العام. وهذا جعلني أقترب من الإعلاميين والفنانين مبكرًا. وعندما دخلت الجامعة كانت أول صدمة حدثت وغيّرت كل البنى الشعرية الكلاسيكية التي كانت تدور داخل حلقة مفرغة هو: بدر شاكر السياب، وكان اختياري للمرحلة الجامعية نابعًا من رغبتي وشخصيتي الشعرية، فوضعت الرغبة الأولى: لدراسة الآداب، ثم القانون لأدافع عن الناس، وكان هذا بتأثير من المهاتما غاندي عندما درس المحاماة واشتغل في جنوب إفريقيا. لكني قبلت في الآداب لأواجه ببدر شاكر السياب الذي أحدث لدي هذه الصدمة، وأذكر أنني أخذت صورة بدر شاكر السياب مع زميل لي هو: منقذ السريع، إلى رسام مصري، يرسم بورتريهات أفيشات المسرحيات وطلبنا منه إعداد صورة لبدر شاكر السياب بحجم ضخم، ووضعناها في مدخل الكلية كتعبير عن تمردنا وثورتنا ضد الكلاسيكيين الذين كانوا يمسكون بزمام كل القسم في جمعية اللغة العربية، وكانت هذه حركة غريبة تساءل حولها الكثيرون، وأحدثت ردة فعل عنيفة جدًا من الأساتذة ومن الطلبة.

.. وهل ظهر هذا التمرد في الإنتاج الشعري في تلك الفترة؟

- بالتأكيد وكتبت قصائد منها رحلة قديس وعيناك. وأشياء لم أتذكرها، والسياب فتح لي الباب لعبد الوهاب البياتي، وبلند الحيدري وأدونيس وصلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي، كما أثّر فيّ شعراء غربيون منهم كيتس. وأذكر أن لديه بيت شعر شهير يقول "أحترق كي أضيء للآخرين" وكنت أحضر شمعة أضيئها وأتخيل أنها الشاعر كيتس!!

.. يبدو أن روح التمرد كانت موجودة لديك مبكرًا؟

- أذكر أنني عندما كنت قريبًا من مرحلة التخرج في عام 1982 كان

رئيس القسم هو: الدكتور عبد الله العتيبي، وقال لي: سوف أعرفك على أستاذ جاءنا لتوه من السويد اسمه جابر عصفور، وكان جابر عصفور في ذلك الوقت يمثل تيار الحداثة في النقد، والبقية كلهم أساتذة كلاسيكيون ما عدا نازك الملائكة التي تقاعدت في هذه السنة، وأصبح جابر عصفور صديقًا لي ولم تكن علاقتي به علاقة أستاذ بطالب، وهذا شيء غريب في حياتي فلم أكن أحب أن أصادق من هم في مثل سني. وأذكر أن الدكتور محمد المهيني وكان خبيرًا تربويًا وسياسيًا معروفًا اختارني ذات مرة لأقود حملته الانتخابية، وسألني عن عمري قائلاً: أنت في الأربعين من العمر؟ فصعقت وأخبرته أنني في الحادية والعشرين من عمري، فقال: مستحيل. ولذلك لم أكن أختار أصدقائي في مثل سني. فكان أصدقائي أساتذة بالجامعة مثل الدكتور العتيبي والمهيني والربعي والسقاف وغيرهم. لدرجة أنه ذات مرة جاءتنا دكتورة جديدة في قسم اللغة العربية وطلبت قائمة بأسماء أساتذة القسم فأعطوها القائمة لكنها عادت للسكرتيرة تخبرها أن هناك اسمًا سقط من القائمة تراه دائمًا مع الأساتذة هو أحمد الدوسري، فضحك الأساتذة وأخبروها أن الدوسري طالب على وشك التخرج لكنه يدفع 5 دنانير مع الأساتذة لشرب القهوة والشاي ولا يجلس إلا مع الدكاترة والكبار.

.. في تلك الأجواء التي نشأت بها في الكويت، حيث الظهور المبكر للحداثة، وللاشتباك السياسي، والحراك الاجتماعي في تلك المنطقة من الخليج، كيف انعكست هذه الأجواء على الشاب أحمد الدوسري؟

- في هذه الفترة التي كنا نعيشها كان هناك تآخ شعري أذكر أن الأستاذ خالد سعود الزيد وضع اسمي على البوستر في أول أمسية في حياتي، ولم أكن أتجاوز التاسعة عشرة من عمري، وأذكر كان معي أحمد مطر، وسليمان الفليح وسعاد الصباح، ولم يكن بيننا هذا الحسد، أو هذه

الغيرة الموجودة (في هذه الأيام). بالعكس كان يفرح أحدنا بالآخر كما لو كان هو نفسه. كانت هناك حيوية انعكست بإيجابية على كل الشعراء، وشكّلنا حركة تجديد منظمة تجتمع في رابطة الأدباء، ثم رابطة الاجتماعيين ثم في جمعية الصحفيين، وسميت بتيار التجديد في القصيدة الحديثة واللوحة والقصة.

.. هل كنتم تتابعون تيار التجديد العربي؟

– بالتأكيد لأن الكويت كانت الخزان، فبعد حرب بيروت انتقل كل المثقفين العرب للكويت، والصحافة اللبنانية هاجرت إلى الكويت، وكانت الحرية على مداها قبل 1985 حين تم إغلاق مجلس الأمة. وهرب المثقفون العرب من مصر إلى الكويت، منهم محمود السعدني ودكتور فؤاد ذكريا، وكان جابر عصفور نتاج التهجير، وكلّ هؤلاء استقروا في الكويت، وبعض مَنْ خرجوا إلى العراق جاءوا إلى الكويت، وحتى مَنْ لم يخرج كان يكتب للصحافة الكويتية التي كانت في أوج عصرها الذهبي، حيث كان يخشاها الوزراء والمسؤولون. وكان المد الثوري القومي في أزهى حالاته وأذكر أنه عندما كانت تعقد ندوة عن القضية الفلسطينية، كانت تغلق الشوارع، وتتحرك المظاهرات بشكل مخيف، كانت الكويت تغلي على مرجل. وهذا قاد إلى ثورة القصيدة؛ حيث لم تكن الكويت بعيدة عن تيار الحداثة أو التحديث في القصيدة، وقد توفى السياب نفسه في الكويت ليترك أثرًا على كثير من أدبائها وشعرائها لاسيما محمد الفايز وعلي السبتي الذين أثّروا في الأجيال.

.. لكن الحراك السياسي في الكويت آنذاك لم يجذبك إلى العمل بالسياسة؟

– انشغلت بالعمل السياسي، وتقلبت فيه كقومي متعصب في البداية لكني قرأت كثيرًا حتى اكتشفت هذا الخداع، وإذا بي أرى عبد الناصر

ديكتاتورًا في النهاية، ورجل بوليسي تأذى منه الكثيرون وأنكرت عبادة الفرد وأن أنسب نفسي لرجل ليقال عني أنني ناصري، وأنكرت هذا على نفسي فالشيء الوحيد الذي أحب أن أُنسب إليه أن يقال عني: مسلم والعروبة هوية لكن أن يقال ناصري؛ فهذا ما أنكرته وأبعدني عن القومية وتيارها، كما انشغلت مع التيار التقدمي الديمقراطي واكتشفت أنه هو أيضًا عليه مآخذ، فكفرت بالتيارات السياسية الموجودة في الكويت كلها؛ لأنها كلها لا تقترب من هموم وقضايا الإنسان ولا تحل مشكلة ولا تعمل إلا لمصلحتها والمصالح الشخصية لقادتها المرتبطين بالبرلمان كلعبة انتخابية، فانسحبت من العمل السياسي المباشر في أواخر الثمانينيات - لكن - بقيت كوعي سياسي.

.. قبل الدخول إلى الجانب العملي من حياتك نتحدث عن دور الأسرة في توجهاتك؟ هل هو دور استنكار أم تشجيع؟

- أنا نشأت في أسرة غير متعلمة، والفضل يعود لله سبحانه وتعالى أن هداني إلى العلم الذي كنت مهووسًا به إلى درجة أنني كنت أسهر على الكتاب على ضوء السراج الذي يعمل بالكاز فأصحو والسواد يغطي وجهي من الدخان. فالأسرة لم يكن لها دور مباشر لكن كانت هناك جذوة داخلية علمتني دائمًا أن أكون الأفضل حتى لو كنت ألعب الكرة وكنت متفوقًا في الدراسة حتى الدكتوراة التي نلتها بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف. والأسرة الفقيرة التي نشأت بها كانت تعيش وسط تناقض حيث كان السكن وسط أكبر العائلات في المنطقة، وكان هذا يعطيني إحساسًا كبيرًا بالفارق الطبقي الذي كنت أشعر به، وعندما وصلت إلى الأول الثانوي كان أصدقائي لديهم سيارات من أحدث الموديلات وكنت معدومًا من كل ذلك، وسط هذا الكم الكبير من الأغنياء، وربما كان هذا دافعًا لي لأسعى لتعويض هذا النقص المادي في التفوق في كل شيء. شغلت نفسي به سواء

في التعليم أو الأدب أو الشعر أو الرياضة لأعوض الفارق المادي الذي كان بيني وبين زملائي الذين كانوا يأتون إليّ في البيت لأعلمهم وأدرّس لهم.

.. هل هذه الفترة تركت نوعًا من المعاناة التي يستشعرها من يقرأ شعرك؟

- في لحظة من اللحظات وصلت إلى قناعة بأني شخص لا أجيد الفرح ولا أشعر بفرح، والفرح ليس مهنتي، كما قال محمد الماغوط حتى اللحظات التي يفترض أن أكون فيها سعيدًا أتذكر قصصًا مؤلمة، وكلما ازدادت تجربتي يزداد هذا الحزن. وقد تجلت مفردة الحزن أو ما يدل عليها في أعمالي الأدبية حتى في طريق تركيب الصورة الشعرية أو حتى في الكتابات النثرية فدائمًا يحضر الحزن أو المفارقة التي هي تعني السخرية الحادة جدًا.

.. لحظة التخرج هل كانت تعني لك الخروج من مرحلة المعاناة إلى حالة أخرى؟

- لم يكن يعني لي التخرج شيئًا؛ لأني كنت أعمل وأنا طالب في الجامعة فكنت أعمل صحفيًا ومشرفًا اجتماعيًا ومدير تحرير مجلة، وبالتالي لم تكن الشهادة لتضيف لي شيئًا. ولم أكن أضع في ذهني الوظيفة الحكومية، لأن شخصيتي لا تصلح للوظيفة الحكومية. ومنذ أول مهنة عملت بها حتى الآن، كل الوظائف حرة سواء في: الصحافة أو الجامعة مثل حرية التاجر في عمله.. والتخرج الوحيد الذي كان يعني لي شيئًا هو الحصول على الدكتوراه.

.. ومتى كانت علاقتك مع الصحافة؟

- بدأت منذ الخامسة عشرة من عمري كنت أنشر مقالاتي في جريدة القبس وهذا جرّأني للعمل في الصحافة، وكانت جريدة الرأي

العام أول جريدة أدخلها في شارع الصحافة.

وعملت في صفحة الطلبة ثم تجولت في كل الأقسام، ولم أدخل من باب الصحافة الأدبية ولم أشتغل أبدًا بالصحافة الثقافية إلا كاتبًا، فكان طموحي في الصحافة أكبر من محرر سعيًا إلى امتهانها حتى أصل إلى رئيس تحرير، فكنت أسعى لمعرفة كل فنون العمل الصحفي حتى التسويق والتوزيع وتنقلت بين كل تلك الأقسام وكتبت مقالاً يوميًا على مدى سنوات ومقالاً ثقافيًا أسبوعيًا وأجريت حوارات كثيرة وفجّرت عدة قضايا سياسية واجتماعية أشهرها موضوع «الجنس الثالث»، هذا الموضوع أثار ضجة في العالم العربي كله، وكنت أول من فجّر هذه القضية في الخليج، واصطف الناس طوابير عندما نشرت الموضوع في الرأي العام للحصول على نسخة من الجريدة. وأثرت قضايا أخرى منها وثائق عن الحرب العراقية الإيرانية حصلت عليها، كما قدمت تغطيات ممتازة للحرب.

.. وما هي طبيعة القضايا الثقافية التي كانت تشغلكم في تلك الفترة؟

- على صعيد الشعر كان التجديد في الشعر، والذي كان أحد همومنا في ذلك الوقت، وشكلنا تيارًا من التجديد شمل القصة والفن التشكيلي والمسرح والإعلام والصحافة والتمثيل، وكان جيلاً من الوعي التجديدي بكافة القضايا كالتحرر والديمقراطية حتى عندما كنا طلابًا في الجامعة هذا العمل الطلابي أنضجنا.

.. إلى أي مدى أثّر العمل في الصحافة على حياتك الأدبية، وهل أخذتك الصحافة آنذاك من الشعر؟

- كادت تفعل لكني أخذت منها كل ما أريد، ثم فارقتها غير مأسوف عليها.

.. هذا الاندفاع إلى عالم الشعر، ما السمات التي جذبتك إليه؟

- شخصيتي مغامرة منذ الطفولة وتهوى التمرد على سيئ العادات وكل ما كان يحاصرني كنت أتمرد عليه. هذا التمرد قاد إلى مرحلة الثورة على كل القوانين التي تحد من حرية الإنسان بما في ذلك القوانين المشكلة لعمود الشعر العربي وهذا فتح لي آفاق الشعر الحر ثم قصيدة النثر. وكان هو الدافع وراء العمل العام الاجتماعي والثقافي والسياسي في فترات.

.. ونحن نتحدث على ضفاف شاطئ الخليج في الدوحة، كيف يمكن ان نقرأ أحمد الدوسري داخل قصائده التي نرى فيها فقدانات كثيرة، كيف يمكن لنا أن نمسك بالمفاتيح لنقرأ هذه الفقدانات؟

- ولدت قريبًا جداً من البحر على مبعدة سنتيمترات من مياه البحر كان هناك عشق يربطني بالبحر. وكما أحببت هذا البحر شعرت بمسافة تبعدني عنه، لأنه أخذ أناسًا قريبين من قلبي، ولكن ما أن أرى مياه البحر حتى أحسّ بحنين شديد، مثل حنين المرء إلى قاتله، فالبحر مفردة تتكرر في شعري كثيرًا وبنت كثيرًا من الصور الشعرية لدى حتى في عملي الروائي: «الظلام من الشمال» كان البحر حاضرًا بقوة، وكان هو مصدر الغزاة، حتى في أوبريت قطر المجد، وهو عمل غنائي كان البحر هو العمود الفقري لهذا العمل، وكذلك شخصية السندباد وذهابه في البحر. لذا فهو يمثل بالنسبة لي المجهول والطموح. الزرقة شكلت لي الخلفية اللونية بالنسبة للوحة وحتى بالنسبة للقصيدة كان البحر دائمًا حاضرًا.

.. مارست ألوانًا أدبية عديدة منها الأغنية والأوبريت والرواية إلى أي مدى انعكست تجربة الأسر التي مورست ضدك إبان غزو الكويت والاحتلال العراقي على مسيرتك الأدبية كإنسان؟

- تجربة الأسر التي ارتكبها ضدي النظام العراقي الغابر لدى

احتلاله للكويت كانت تجربة مثيرة وغريبة ومؤثرة، فلأول مرة أحسّ بالأماكن المغلقة، وهي تجربة مفزعة فهذا الإنسان الجامح الذي ينشد الحريات ويتمرد ويثور ويخرج من إطار قانون يجد نفسه فجأة في غرفة تحت الأرض معزولاً عن العالم، كانت تجربة مفزعة؛ لأنني لم أكن أحب الاقتراب من الأماكن المغلقة، كان عالمي هو البحر والصحراء. هذه التجربة أشعرتني بقمة قسوة الإنسان تجاه الإنسان، ويومها تساءلت: مَنْ هو الحقير الأول الذي اخترع السجن؟ إذا كان شخصًا فهو لئيم، وكانت التجربة مزدوجة الألم كونها تأتي من قريب "وظلم ذوي القربى أشد مضاضة " فالإحساس بالظلم مضاعف عندما يأتيك من أخيك ويضطهدك ويغزو مكانك ويأخذك أسيرًا إلى مكان مظلم وموبوء وتحت الأرض ولا ترى الشمس ولا الليل ولا تعرف التوقيت. لكن هذا الشعور دفعنا إلى التحدي وعلّمنا عدم الاستسلام للموت البطيء وكانت إحدى أدواتنا حتى لا نموت، كنا 24 أسيرًا في زنزانة، كنا نتحدث. ماذا لدى كل منا يعلمه للآخر؟ فأحدنا كان يجيد اللغة التشيكية التي تعلّمها من زوجته فقرر أن يعلمنا اللغة التشيكية، وآخر اقترح أن يعلمنا اللغة الإنجليزية، وقلت لهم: أعلمكم الشعر وقواعده، وآخر قال: أعلمكم الطبخ، وهكذا كنا نشغل أنفسنا حتى لا نموت، وللأسف لم يخرج بعض زملائنا حتى الآن، كان لدينا أمل وتشبث بالحياة لدرجة أن البعض أكل الحشرات.

.. وماذا أثمرت هذه التجربة من أعمال أدبية؟

- السجن أفرز لي ثلاث روايات هي (الظلام من الشمال، وامرأة فخرية، وطبقات التعساء)، وعلى الصعيد الفني أثمرت الفترة التي قضيتها أسيرًا في سجون العراق مجموعة كبيرة من القصائد بعضها تحوّل إلى أغنيات شعبية، ورغم أنه لم يكن لدي قلم أدون به القصائد إلا

أن الله - سبحانه وتعالى - رزقني بأخ شقيق هو عبد العزيز كانت ذاكرته كالآلة الناسخة حفظ كل القصائد من مرة واحدة عندما كنت أذكرها أمامه بيتًا بيتًا، ثم ينشدها أمام الآخرين من السجناء، وكان هذا هو الشعر بالتحدي والأمل في الانتصار على الظلامية والقمع والبطش والاحتلال.

.. ما بين الأسر والرجوع إلى الوطن المحرر هل ذهبت صيحاتكم هباء؟

- الإحباط الذي سادنا بعد الغزو والتحرير كان كبيرًا وربما هذا الإحباط هو الذي قادني إلى الاغتراب فيما بعد.

.. وهل أدار الوطن ظهره لك؟

- ليس هناك شك. لقد أدار ظهره كثيرًا وشعرت بالاغتراب داخل الوطن، وبدأت رحلة الاغتراب من الداخل، وبقيت سنتين بعد العودة من الأسر، ومن ثم غادرت إلى المغتربات.

.. وهل كان قرار الاغتراب اختيارًا؟

- جبرًا واختيارًا وحدثت مضايقات أوصلتني إلى مرحلة رأيت فيها أنه ليس من بد سوى القطيعة، والوطن كان النظام القائم سواء السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، ولننظر إلى الدول الدكتاتورية ولنتساءل لماذا يخرج من العراق خمسة ملايين آدمي، ومن الجزائر ثلاثة أو أربعة ملايين، ومن سوريا مليون؟ هل نعتبر أن هؤلاء خرجوا ولا يحبون أوطانهم. لا لكن الوطن ليس هو الماء والهواء فقط لكنه نظام.

.. ولماذا قوبلت بهذا الإنكار وأنت سجنت من اجل بلادك؟

- نعرف أن الخطيئة الأولى التي كانت قبل أن نهبط من السماوات

العلا كانت الحسد فإبليس حسد آدم، ثم بعد أن هبطنا على الأرض كان حسد قابيل لهابيل، وفي حياتي تعرضت لكثير من هذا في الأوساط الإعلامية والثقافية للأسف، وهذه برزت تحديدًا بعد تحرير الكويت، وبعد خروج مجاميع كبيرة من العرب كانت تضفي حيوية على هذا المجتمع. وعندما خرج المورسيكيون من الأندلس تخلفت إسبانيا عن بقية دول أوربا بنحو ثلاثمائة سنة فلاشك أن خروج النخبة العربية التي كانت موجودة في الكويت في كل المجالات، وبهذا الشكل المفزع أثّر على الحياة الاقتصادية والثقافية والإعلامية والثقافية.

.. هل راودك أمل العودة وأنت في طريقك نحو الاغتراب، وكيف كانت الرحلة؟

- كان لدي بصيص من الأمل بأن أعود في يوم ما، لكن المكانات التي اغتربت إليها منحتني أشياء كثيرة وجميلة وذهبت أولاً إلى باكستان، حيث كان لدي صديق كويتي يدرس هناك الطب فقبلت، حيث لم تكن لدي جهة معينة أتجه إليها وبقيت بها 4 شهور وكانت تجربة جديدة، وبأنواع من الغرابة والدهشة، فكل شيء هناك مختلف حتى البحر والمطر الذي يعشقه أهل كراتشي ويرقصون تحته.

ومن باكستان اتجهت إلى جنيف بسويسرا، حيث كانت زوجتي من هناك.

.. ماذا فعلت في سويسرا ونحن نعرف أنها كانت تجربة ثرية؟

- فعلت كل شيء وتعاملنا أنا وزوجتي مع رحلة الاغتراب على أنها شهر عسل وهذا ما خفف وطأة الخروج عني، وعندما دخلت إلى جنيف بدأت الحياة العملية. وأذكر أنني دخلت في الثاني من أكتوبر وفي الثالث من أكتوبر سجلت مباشرة في أحد معاهد اللغات لأتعلم اللغة الفرنسية، لأن المنفى كان هو اللغة، فألاّ تعرف ولا تفقه حرفًا مما يتكلمه القوم أو

المجتمع الذي تعيش فيه فهذه كانت كارثة الكوارث وتعمق الإحساس بالغربة. فكان لابد أن أخفف من وطأة المنفى وتعلمت اللغة كأحد السبل مع العمل والدراسة والتأليف والمراجعة لسنوات العمر بأخطائها وثمارها. ولم أشعر في حياتي بالحرية والأمان مثلما أحسست في جنيف حتى عندما اغتربت إلى أمريكا عام 1994 لمدة 4 سنوات لم أكن أشعر فيها بالأمان. وكان البلد الوحيد الذي شعرت فيه بالأمان والطمأنينة والاستقرار وأعطتني كل شيء هي سويسرا وجنيف، جنيف المكان والزمان والناس والمؤسسات، ولم تبخل عليّ هذه المدينة بأي شيء وأعطتني هذه التجربة ميزة أنك عندما تكون خارج الوطن تشاهد بانوراما العالم العربي كله أمامك وتسمع رأي الآخرين فيك بلا مواربة. وهذا ما فتح أمامي قضايا كثيرة لم أكن أراها إلا من جنيف.

.. متى ظهر أول ديوان لك وأول مؤلفاتك؟

- كانت أول مؤلفاتي دراسة حول الشعر ظهرت عام 1986، وكان أول كتاب عن «الشعر الحر بين الحقيقة والتجني» وكنت مازلت في الدراسة الجامعية. وأصدرتُ مجاميعي الشعرية تباعًا منها «ظلام من الشمال - الكلام لايزال للغيمة - انتشار المسدس والكوليرا في القلب».

.. أدب المنافي له صفات معينة يُعرف من خلالها الشاعر. إلى أي مدى أثّرت رحلة الاغتراب على إنتاجك الأدبي؟

- المنفى يعطيك المفردة التي تختلف وأنت في الوطن، مفردة علوية حادة وموجعة ومحزنة ومؤلمة كالنصل ينغرس في العظام ويعطيك التأمل، وأنت في الوطن تدخل في احتكاك مباشر مع قضاياه لكن المنفى على مبعدة تمنحك صفاء، ففي المنفى إما أن تكون صوفيًا أو فيلسوفًا أو مجنونًا.

والمجتمع الغربي والمنفى منحنى القلق الداخلي الكبير، قلق حضاري

فأنت على تماس مع الغرب المدجج بالمؤسسات؛ حيث الإنسان يمشي في الشارع ولا يعتقل فالغرب لم يسقط حتى الآن كنظام ثقافي وإنساني واجتماعي فهذا الغرب يهب المجتمع فيه كله ليمنحك اللجوء السياسي دون أن يعرف عنك شيئًا وحتى لو قررت محكمة ما اطردك من البلد تنهض مؤسسات غربية لتدافع عنك هذا هز اليقين الذي كان لدي بأننا العرب أشجع الناس وأننا أكرم العالمين وأكثر مروءة من الآخرين، هذه الأمور نقاني منها المجتمع الغربي بعمق، وجعلني على يقين بأنني لن أكون أفضل منه إلا إذا كنت إنسانًا أكثر منه، والغرب غربان: غرب الناس، وغرب الإدارة، ولعلنا رأينا ذلك في موقف الشعوب الغربية من الحرب، وقد لمست من خلال احتكاكي بمثقفين غربيين كيف كنا نُخدَع ويُقَال لنا إننا أفضل الناس وأشجعهم، بينما إذا دخلت سيارة بوليس يفزع الحي كله ويدخل الناس إلى بيوتهم وتعتقل الشرطة مَنْ تشاء وسط صمت الآخرين، بينما لا يحدث هذا في الغرب، وعندما تريد الشرطة في الغرب أن تعتقل فردًا يهب الحيّ كلّه للدفاع عنه من خلال المؤسسات التي تمنع المجتمع الغربي من السقوط.

وقد وضعت في مواجهة الغرب كله، وكان عليّ أن أجيب كمثقف عربي عن هذه الأسئلة المطروحة في الشارع يوميًا بيني وبين الغرب.

أما العودة للعالم العربي مرة أخرى فألخص أسبابها في جملة من كلمتين: «تغلب الحنين» وقد كتبت قصيدة اسمها «يخرب بيت الحنين» وشيء آخر هو التواصل فقد حاولت أن أندمج مع مؤسسات غربية لكنها بقيت غريبة عليّ وافتقدت التواصل مع الصحف العربية والمؤسسات العربية الثقافية.

.. وكيف وجدت العالم العربي بعد العودة؟

- عدت بعد اغتراب نحو 10 سنوات فوجدت متغيرات كثيرة في

المجتمع العربي وقد تسارعت المتغيرات، وأصبحت تحسب بالثانية عن طريق التطور الرهيب في المعلومات، لكن مازال الفرق كبيرًا بين إيقاع الحياة في الغرب والإيقاع العربي، يتجلى بوضوح في مذيعي النشرات الإخبارية العرب والغربيين الذين يقرؤون بسرعة وبإيقاع لا يعرف الملل بينما مازال المذيع العربي يجوّد النشرة الإخبارية!!

.. إذا تحدثنا عن الأعمال الشعرية نلحظ في المجموعات الأولى ذهابًا نحو المفردة الصوفية ونجد البطولة للنثر في هذه المجموعات ثم يتم الإمساك بالوزن، ومن ثم مسرحة القصيدة؟

- التجارب الصوفية في شعري هي تجارب حقيقية وليست ناتجة عن قراءات للصوفية. وقد تنقلت بين القصيدة المركبة وقصيدة التفعيلة والقصيدة الصوفية والقصيدة الكتاب في طبقات التعساء، ومن قصيدة تكتب ربما للمرة الأولى كسيرة شعرية، الباب الأول: كذا، والثاني: كذا فجاء الكتاب سيرة شعرية من ثلاثة أجزاء، وهذه التجربة مهمة جداً بالنسبة لي فنيًا وكتبتها في أمريكا صارخًا وحدي في البرية.

.. لماذا غاب أحمد الدوسري عن التجارب الشعرية العربية؟

- هذا شيء طبيعي الآن لكني حتى 1989 كنت حاضرًا في الخليج لكن أسبابًا حياتية ومعيشية قاهرة وراء هذه الغيبة التي طالت عشر سنوات. وسنوات كهذه كثيرة على الشاعر الذي يريد أن يظهر ويعرف بينما هو قادم من فضاء المنفى بعد أن لبث فيه سنين.

.. لك قصائد غنائية لماذا؟

- هذا التجلي الغنائي عائد إلى الطفولة، لأني أعشق الإيقاع والموسيقى وعندما كبرنا وبدأنا نكتب القصيدة الحديثة خالية من الإيقاع كانت الدفقة الغنائية تعويضًا عن الغائب الموسيقي في القصيدة

الحديثة. وهذا ما تجلى في شكل أغنية أو أوبريت أو عمل مسرحي غنائي.

.. أين موقع الرواية لديك؟

- بالنسبة للرواية فليس هناك شك أنها الفن الأول في القرن العشرين وتغلبت على ما عداها من الفنون الأخرى، وهي الأوسع انتشارًا وهي ديوان العالم الآن، وأكبر شعراء فرنسا لا يطبع من ديوانه سوى خمسمائة نسخة، بينما أصغر روائي عمره 20 سنة يطبع آلاف آلاف النسخ، وفي الشعر لا تستطيع أن تقول كل ما تريد، فالشعر ومضات وتكثيف، لكن في الرواية تقول كل شيء.

.. بمن تأثّرت شعريًا؟

- بالمتنبي طبعًا كشاعر قديم، وفي العصر الحديث بـ بدر شاكر السياب، فهو الشجرة التي دلّتني على بقية الغابة.

.. ولمن تسمع القصائد المغناة؟

- ربما أقول شيئًا مفاجئًا فأنا أكتب الأغنية لكني لا أسمع الغناء. وحتى في سنوات المنفى كان القرآن الكريم هو جليسي!!.

ختم أثيري

غـازي الذيبـة

صديقي أحمد:

بعد الليل الطويل والمؤرق في آن، وبعد لحظة الانتشاء الرقيقة على خليجنا، بعد كل هذه الغيابات الطويلة والأرق الموجع.

بعد هذا السفر السري في مجهولك، وبعد جهرك في كشفك، ووجدك في هدأة التأمل، وسيرك في غربتك الطويلة، ونهوضك من مقام العنت؛ لتمشي حافيًا إلى مقام الرؤية، بعد خلوك من ضغينة المنفى، ومن جهدة الألم، ومن حرقة التيه، ومن سورة اللهفة، ومن نكد القيظ، ومن سيرة العذاب، ومن كل ما ألمّ بك، ودفعك إلى أن تكون مع ذاتك، مخلصًا لنداها، وصبرك على جرحك: كيف مشيت إلى هنا، وتأرقت بالجمر، واحترقت بالكتابة؟ ألم يكن لزامًا عليك أن تتروى قليلاً، لترى، وأنت، المُبصر؟ ألم تعرف أنّ مقام السهد طويل، وأن لمحة الخفق نهدة حارقة، وأن رشفة الحبر سر لا يصله إلا الحفاة العراة من الغيظ، المنهمكون بدورق الخفاء، المجبولون بسهو الريح، المصدوعون بصراخ الألم؟

بعد كل هذا، لا أرى فيك سوى ما تراه في حاجتك، لأن تكون محتاجًا، خلجاتك تقافز في برية المعنى، تسفر عن قبضة روح رشيقة، مسحورة بعذاباتها، حالمة بانعتاقها، مدركة انهماكها في اللذة والتأمل والشهيق.

وليكن.

سوف نحتمل منافي الرمل الطويلة، ونغني دائمًا كما قال صديقنا المعجون بالحياة حتى الشهادة من أجلها ناظم حكمت: آه يا وطني.

ملحق صور

أحمد الدوسري
في سن السادسة

أحمد الدوسري
في سن الثانية

أحمد الدوسري
في سن الثالثة عشرة

أحمد الدوسري
في سن الخامسة عشرة

أحمد الدوسري
في سن الثامنة عشرة

أحمد الدوسري في مراحل عمرية مختلفة

أحمد الدوسري مع طفله مشعل

أحمد الدوسري مع ابنته عايشة

أحمد الدوسري في أهرام الجيزة

أحمد الدوسري في تركيا

أحمد الدوسري في تركيا

أحمد الدوسري أمام بحيرة الليان في جنيف

أحمد الدوسري في جنيف

أحمد الدوسري في الثانوية العامة مع أصدقاء الدراسة

أحمد الدوسري شهادة التفوق في الثانوية العامة

أحمد الدوسري ولجنة مناقشة الدكتوراة في جامعة جنيف

أحمد الدوسري مع سمو أمير البلاد

أحمد الدوسري مع الأمير الحسن بن طلال

أحمد الدوسري مع الشيخ حسن بن محمد على آل ثاني

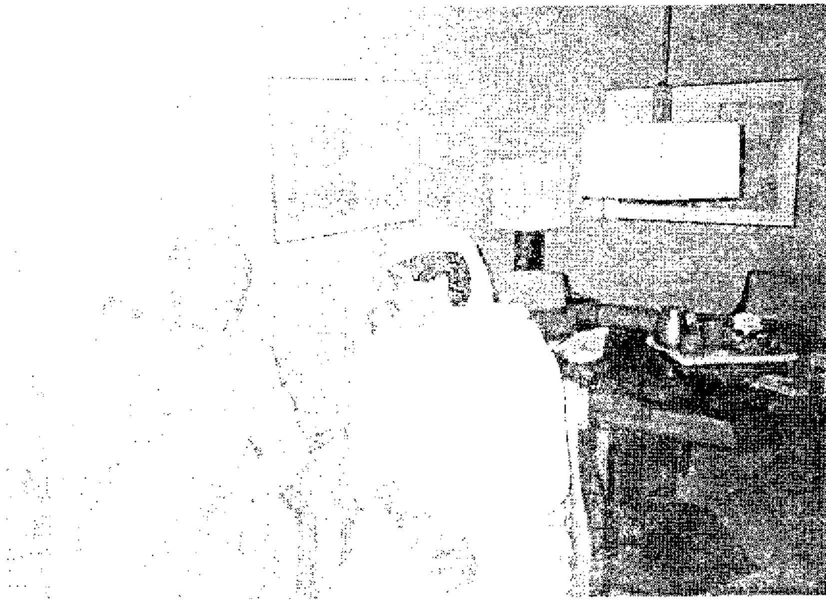

أحمد الدوسري مع [illegible]

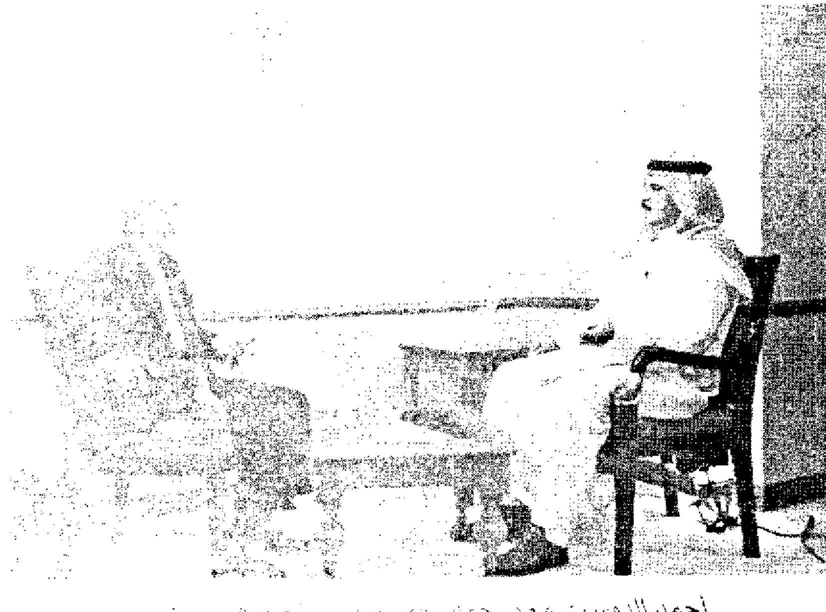

أحمد الدوسري مع د. جمال [illegible]

أحمد الدوسري مع الدكتور لويس عوض

أحمد الدوسري مع الدكتور جابر عصفور

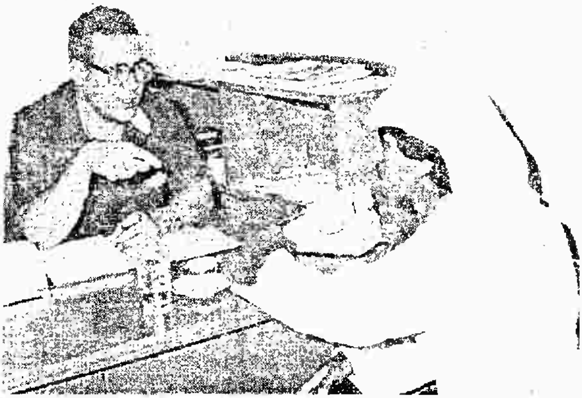

أحمد الدوسري في جامعة الكويت مع د. جابر عصفور

أحمد الدوسري مع الفنان عبدالحسين عبدالرضا

أحمد الدوسري مع الفنان محمد صبحي

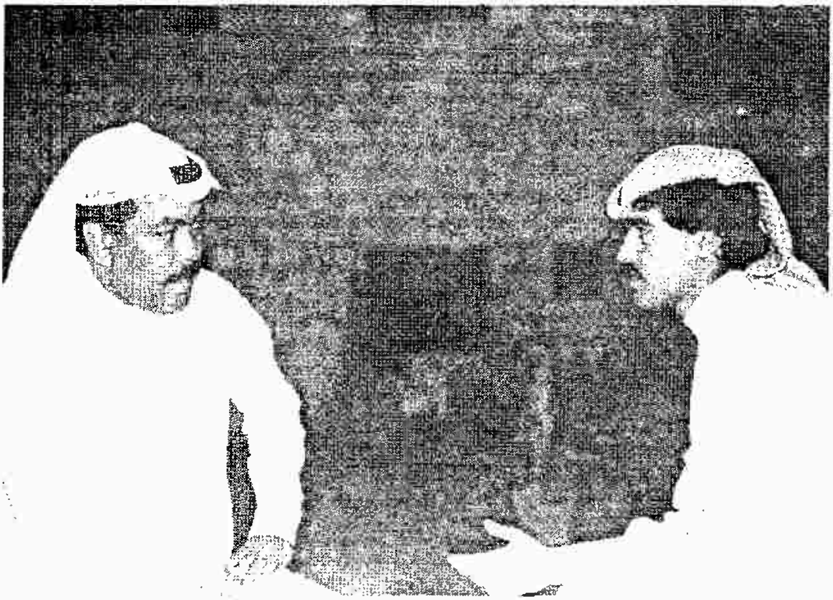

أحمد الدوسري مع الفنان سعد الفرج

أحمد الدوسري مع الفنان عبدالكريم عبدالقادر

أحمد الدوسري مع الموسيقار القطري حامد النعمة

أحمد الدوسري مع الملحن حامد النعمة وولده مشعل الدوسري

أحمد الدوسري مع سيلڤيان وديديه

أحمد الدوسري مع الشاعر السويسري موريس شاباز

أحمد الدوسري
مع الشاعرة السويسرية
سيلڤيان دوبوي

أحمد الدوسري مع الشاعر عبدالوهاب البياتي

أحمد الدوسري مع د. خليفة الوقيان

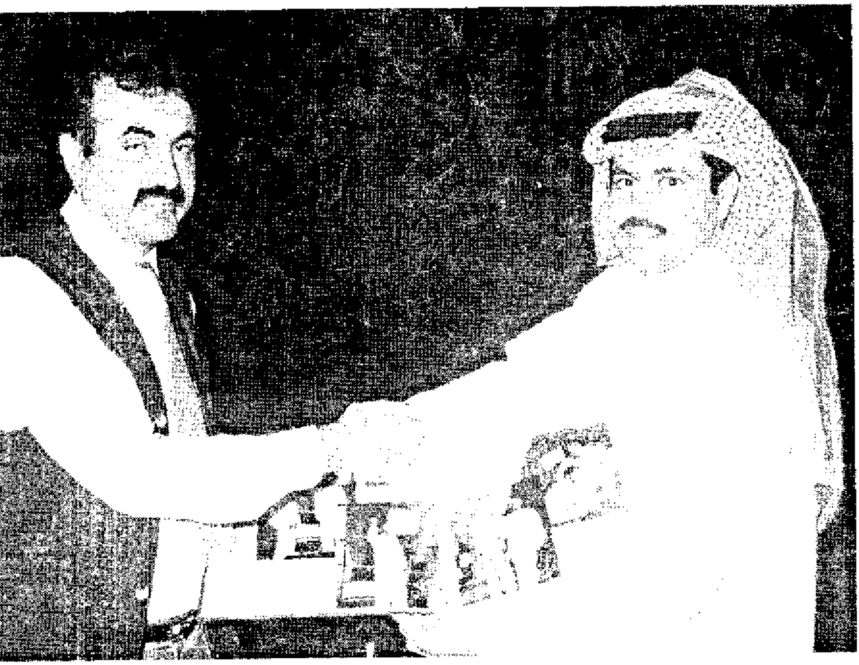

أحمد الدوسري مع الشاعر محمد الفيتوري

أحمد الدوسري مع الشاعر عبدالرزاق الربيعي

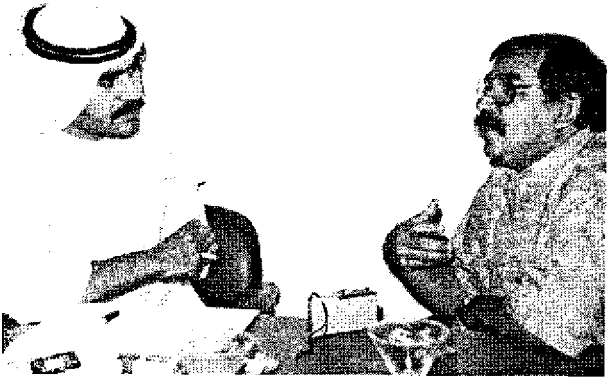

أحمد الدوسري مع الشاعر علي الشرقاوي

أحمد الدوسري مع الشاعر علي الشرقاوي
في إحدى الأمسيات الشعرية

أحمد الدوسري مع الشاعر الكويتي حمود البغيلي

أحمد الدوسري مع الشاعر ناظم السماوي

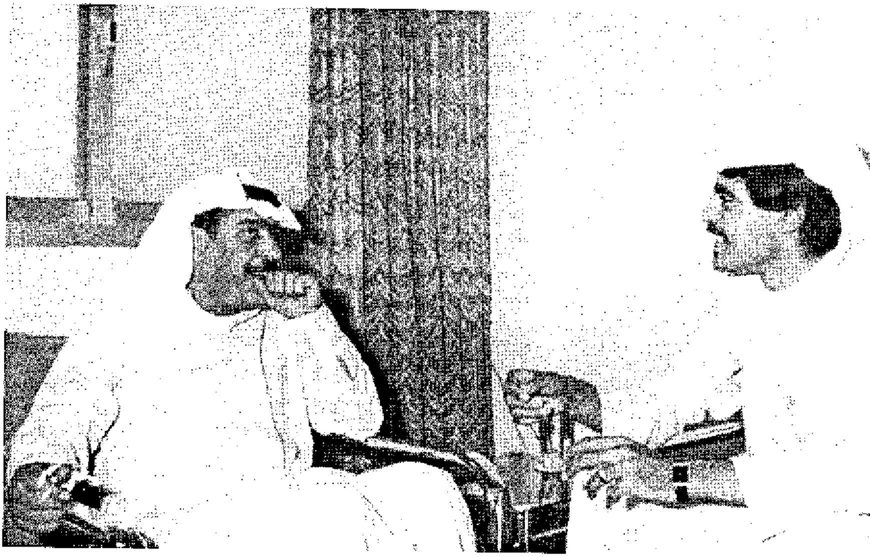

أحمد الدوسري مع الشاعر بورسلي

أحمد الدوسري مع الشاعر يوسف ناصر

أحمد الدوسري
مع المنصف الميزغني

أحمد الدوسري مع الراحل خالد سعود الزيد ويعقوب السبيعي

أحمد الدوسري مع بشير العبودي

أحمد الدوسري
مع الشاعر الكويتي فايق عبدالجليل

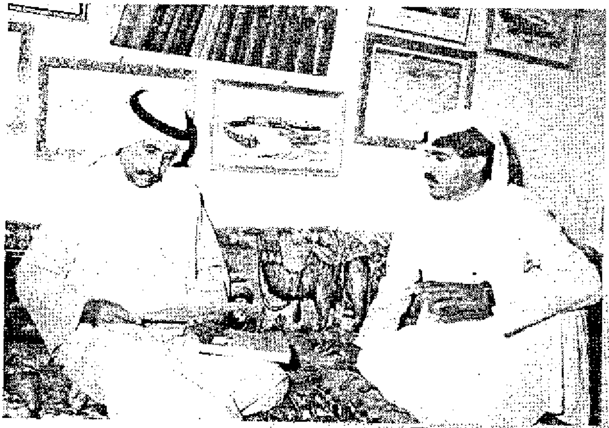

أحمد الدوسري
مع المؤرخ الكويتي
سيف مرزوق الشملان

أحمد الدوسري
مع شادي الخليج

أحمـد الدوســـري
مع الشاعـر الكويتي
الراحل محمد الفايز

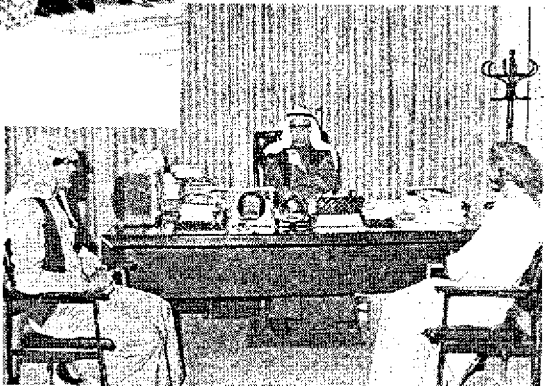

أحمد الدوسري
مع عبدالعزيز المساعيد
وسعيد النعماني

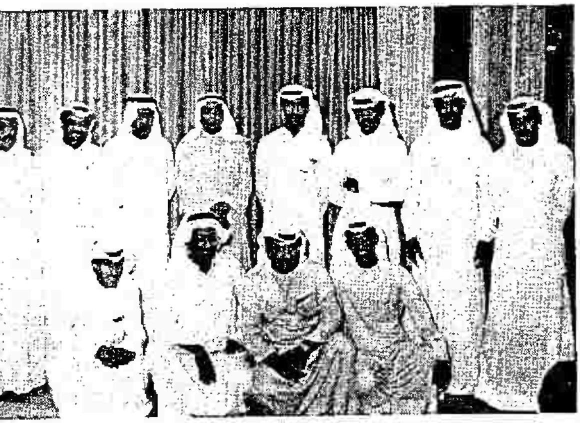

أحمد الدوسري
مع جاسم يعقوب
ومجموعة من الصحفيين

أحمد الدوسري
مع المرحوم جبرا إبراهيم جبر

أحمد الدوسري
مع أبو العباس

أحمد الدوسري مع د. بدرية العوضي

أحمد الدوسري مع سعد بورشيد

أحمد الدوسري مع الصحفي مصطفى بكري في جريدة الأهرام

د.أحمد الدوسري
سيرة ذاتية

- حاصل على دكتوراة آداب وحضارة وفلسفة عربية من جامعة جنيف .
- عمل في صحف عربية عدة منها الرأي العام ، الأنباء ، صوت الكويت. ونشر مقالاته السياسية والفكرية والأدبية في العديد من الصحف والمجلات العربية مثل الشرق الأوسط اللندنية والخليج الإماراتية وحياة الناس والراية .
- شارك في العديد من المهرجانات الشعرية والثقافية .
- وفي المجال الأكاديمي عمل أستاذًا للغة والأدب العربي في المدرسة العربية بجنيف ، ومعهد الميقرو وجامعة جنيف .
- يعمل حاليًا بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر حيث كان المنسق العام لمهرجان الدوحة الثقافي، مارس ٢٠٠٢ .
- قام بتأليف أول أوبرا عربية "أوبرا ابن سينا" .
- صدر له :

١- طبقات التعساء (سيرة شعرية) ج١، ج٢ .

٢- الكلام ما يزال للغيمة (شعر) .

٣- المواظبات والمآخذ (شعر) .

٤- انتشار الكوليرا والمسدس في القلب .

٥- الظلام من الشمال (رواية) .

٦- هم .. وإلخ (مجموعة قصصية) .

٧- الشعر الحرّ بين الحقيقة والتجنّي (نقد) .

٨- أمل دنقل شاعر على خطوط النار (نقد) .

٩- مستحيل الكتابة (مقالات نقدية) .

١٠- سيلفيان دوبوي ، الأعمال الشعرية ، ترجمة ، عمّان ، ١٩٩٧ .

١١- أنطولوجيا الشعر السويسري الحديث ، ترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .

١٢- جوزيه فلور تابي ، الأعمال الشعرية ، ترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

- ويصدر له قريبًا :

١- اتجاهات الشعر العربي الحديث في الجزيرة العربية باللغتين العربية والفرنسية .

فهرس
كتاب شاعر المنافى والمساءات الباردة

الإهداء 5
كلمة أحلام مستغانمي 7
مقدمة الكتاب ضوء عميق فى عتمة سحيقة 9
إشارات فى طبقات تعساء «ابن خربة» ، **د. عبدالعزيز المقالح** 21
النسخة الأخيرة لطبقات التعساء لابن خربة
كانت لدى الشاعر أحمد الدوسري ، **د. صلاح القصب** 25
الحزن يقطرُ من جنبات القصيدة ، **على ناصر كنانة** 29
أمل دنقل على خطوط الدراسة الأكاديمية ، **عبدالرزاق الربيعى** 1 33
الحداثة الشعرية في الجزيرة العربية ، «رؤى واتجاهات مغايرة» ، **عبدالرزاق الربيعى** 2 37
الكلام لا يزال للدوسري ، **عبدالرزاق الربيعى** 3 41
أمل دنقل يسير على خطوط النار ،
وأحمد الدوسري يكشف وقع خطواته، **أمين عبد الحميد مرسى** 43
الدوسري و دنقل.. على خطوط النار!! ، **سعد فرحان الخالدى** 47
أمل دنقل.. حروفه سيوف ضد القهر ، **حلمى سالم** 53
"الظلام من الشمال"، بانوراما داخلية لحرب الخليج، **د. محسن الرملى** 59
حيـــاة.. في مواجهة الزمن والمرض وأعداء الوطن، **محيى الدين اللاذقانى** 69
التاريخ والشعر.. موقعا أمل دنقل عند الدوسري ، **محمدالحربى** 75
الانقلاب المستحيل على صدام.. وإعدام الروائى حسن مطلك، **عبد العزيز الدوسري** .. 79
همس الحرية العالي في أرخبيل المنافي ، **غــازي الذيبـة** 85
أوبرا ابن سينا 99
أوبـرا ابـن سيـنـا فـى الـدوحـة ، **جـواد الأسـدي** 103
الشمس تشرق من جديد ، **ميـلاد حـنا** 105
شهادات خاصة 111

وليمة شرف على جوع أمل دنقل ، **عدنان الصائغ** 112
مرايا الليل المنتظرة ، **د. صلاح القصب** 114
فسيفساء الدوحة والطيف الشمسي ، **عادل الطاهر** 117
حول أحمد الدوسري ، **سلفيان دوبوى** 119
شاعر قطر المجد ، **طه حسين** 122
أحمد الدوسري .. شاعرًا .. إنسانًا وقلبًا خاشعًا بالفزع ، **عبدالعزيز الدوسري** 124
خطوة متعجلة.. أم رغبة فى توثيق ما كان؟ ، **حسن توفيق** 127
حوار حول التجربة ، **طه حسين ، غازى الذيبة ، أشرف العوضى** 131
ختم أثيري ، **غازي الذيبة** 150
ملحق صور 151